

إعداد / جيار جورج ليمين
تقديم / جمال الفيطناني
ترجمة / محمد عبد المنعم جلال

سبيل اليوم

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

مقاهي الشرق



محمد عبد المنعم جلال

مقاهى الشرق



اعداد : جيار جورج ليمير

□ المشرف على التحرير : جمال الفيضانى

● العدد ٣٢٠ ● ابريل ١٩٩١ ●



كتاب اليوم

انتبه

مصطفى أمين وعلى أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم سمحة

العدد رمضان ١٤١١ هـ

٣٢٠ أبريل ١٩٩١ م

نيسان

الصحافة ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولي ٩٢٢١٥ - محلي ٩٢٢٨٢

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوي ٦ جنيه مصري

الحرب الجوى

دول اتحاد الميريد العربي

والافريقي ٢٠ دولار امريكي لوما يعادله

بلاقي دول العالم واوروبا والامريكيتين

واسيا واستراليا ٢٠ دولار امريكي لوما يعادله

• ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

• ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٣ اش للصحافة

القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (خطوط)

أسعار

كتاب اليوم

في الخارج

٢٠٠٠ ليرة	إيطاليا
• فلورين	• هولندا
روبية ٣٥	باكستان
فرنك ٤	سويسرا
دراخمة ١٠٠	اليونان
شلن ٤٠	البنمسا
كرونا ١٥	النماليق
كرون ١٥	النمويدي
سفتا ٣٥٠	الهند
سفت ٣٠٠	دريم هذا امريكا
كروينو ٤٠٠	ريالات البرازيل
سفتا ٣٥٠	نيويديانتر
سفت ٤٠٠	لوس انطوس
سفت ٤٠٠	اسفرااليا

٧٠٠ بيعة	الامارات ٨
سلطة عز ٧٠٠	قطر ٨
سنت ١٠٠	انجلترا ١٢٥
سنت ٢٠	فرنسا ١٠
سنت ٨٠	المانيا ٥
سنت ٦٠	مراك

٢٠ درهم	المغرب
٧٥٠ ليرة	لبنان
٧٥٠ فلس	الاربن
٧٠٠ فلس	المراق
٧٠٠ فلس	الكويت
٧٠٠ ريالات	السعودية
٥٠٠ قرش	الصودان
١٤٠٠ مليما	تونس
١٧٥٠ سنتيما	الجزائر
١٤٠٠ قس	سوريا
٦٠٠ سنت	الحبيشة
٨٥٠ فلس	المجرين

■ الغلاف : من تصميم مدرسة الاستشراق الأوربي في القرن ١٩١٩

■ غلاف اخير : محمد عفت

بالشاي ، يدخل الشرق .
المجتمعات البورجوازية ، وبالقهوة .
يدخل العقول .

● بول موران ●
« طريق الهند »

الفهرس

ص

- المقدمة : جمال الغيطاني ٥
- أوليفيه بوافر دارفور : ٢٥
- سيد القهوة : ٢٩
- جيرار جورج ليمير : ٥٥
- مقاهى الشرق نظرة أخرى : ٦٥
- عرض الصور : ٦٨
- أثينا (اليونان) رودلف حمادى
- تسالونيكى (اليونان) بيير ديفان ، فرانسواز نونيز
- نيقوسيا (قبرص) نيكوس افراميدس
- اسطنبول (تركيا) باثريك لاکومب
- الاسكندرية (مصر) كريسستوف بروسكوفسكى
- القاهرة (مصر) فرانسواز جورن
- الدوحة قطر نيتو سبتشارون
- بغداد (العراق) عادل الطائى
- عمان (الأردن) فيليب بك
- دمشق (سوريا) محمد رومى
- مقاهى تركيا : ٧٥
- مقاهى قطر : ٩٠
- نجيب محفوظ : ١٠٧
- محمود السعدنى : ١٢١
- جمال الغيطاني : ١٢٩

■ تقديم ■

مقاهى القاهرة

بقلم : جمال الفيضانى

« .. مقاهى القاهرة ، عالم فريد ، متشابك العناصر ، يحوى الملامح الإنسانية العامة ، وله أيضا سماته الخاصة جدا . فى مقاهى القاهرة يجلس الناس حول المناضد متواجهين ، يتبادلون النجوى ، والأحاديث ، والأشواق الإنسانية ، والمصالح المادية ، وقضاء الحاجات ، وعقد الصفقات ، وثمة من تلفه الوحدة ، يجلس محملا فى الفراغ ، وقد يحاول قهر وحدته بجديته إلى جار لا يعرفه ، وربما لم تعش أكثر من حدود اللقاء .. » .

إلى أى عمق تاريخى ينأى عمر المقهى القاهرى ؟ لا يوجد مرجع تاريخى يحدد هذا ، ولم تخصص دراسة لرصد تضاريس هذا العالم المتكامل ، ولكن الذى لا شك فيه أن المقهى كان جزءا من الحياة القاهرية . منذ أن اتسعت القاهرة ولم تعد الحياة قاصرة فيها على الخلفاء الفاطميين وحاشيتهم ، ولا شك أن المقهى كان موجودا بشكل مختلف عما نعرفه الآن ، فالقهوة التى استمد منها المكان اسمه لم تدخل مصر إلا فى القرن السادس عشر الميلادى ، قيل أن أول من اهتدى إليها هو أبو بكر بن عبد الله المعروف بالعيدروس ، كان يمر فى سيارته بشجر البن فاقتات من ثمره حين رآه متروكا مع كثرته ، فوجد فيه تجفيفا للدماغ واجتلابا للسهر ، وتنشيطا للعبادة ، فاتخذ طعاما ، وشرابا ، وأرشد أتباعه إليه ، ثم وصل أبو بكر إلى مصر سنة ٩٠٥ هـ ، وهكذا أدخل الصوفية شراب القهوة إلى مصر ، واختلف الناس حول هذا المشروب الجديد ، هل هو حرام أم حلال .

حرم البعض القهوة لما راوه فيها من الضرر ، وخالفهم آخرون ومنهم المتصوفة وفي سنة ١٠٣٧ هـ زار القاهرة الرحالة المغربي أبو بكر العياشي ووصف مجالس شرب القهوة في البيوت ، وفي الأماكن المخصصة لها .

في مطلع القرن العاشر الهجري حسمت مشكلة تحريم القهوة أو تحليلها ، وانتشرت في القاهرة الأماكن التي تقدمها ، وأطلق عليها اسم المقاهي ، ويبدو لنا ان هذه الأماكن كانت موجودة من قبل ذلك بمئات السنين ، ولكن لم يطلق عليها اسم المقاهي لأن القهوة نفسها لم تكن دخلت إلى مصر ، كانت هذه الأماكن معدة لقناتول المشروبات الأخرى كالحلبة ، والكركيه ، والقرقة ، والزنجبيل ، ، ولم يكن الدخان معروفا أيضا حتى القرن الحادي عشر الهجري ، ويحدد الاسحاقى المؤرخ المعاصر ظهور الدخان في سنة ١٠١٢ هـ ، غير ان مشكلة الدخان كانت أكثر تعقيدا ، لقد تمسك كثير من فقهاء المسلمين بتحريمه ، وكثيرا ما كان يطارد مدخنوه تماما كما يطارد مدخنو الحشيش في أيامنا هذه ويذكر الجبرتي في حوادث سنة ١١٥٦ ، ان الوالى العثمانى اصدر أوامره بمنع تعاطي الدخان في الشوارع وعلى الدكاكين ، وابواب البيوت ، ونزل ومعه الاغا ، ونادى بذلك ، وشدد بالإنكار والنكال بمن يفعل ذلك ، وكان كلما رأى شخصا بيده آلة الدخان يعاقبه ، وربما اطعمه الحجر الذى يوضع فيه الدخان بما فيه من نار .

● القرن التاسع عشر :

ربما كان ادق وصف وصل إلينا عن المقاهي المصرية ، ما كتبه المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين ، في كتابه « المصريون المحدثون » يقول « لين » الذى زار القاهرة وعاش بها فى مطلع القرن التاسع عشر « ان القاهرة بها أكثر من ألف مقهى ، والمقهى غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود ، ويقوم على طول الواجهة ، ما عدا المدخل ، مصطبة من الحجر أو الاجر تفرش

بالحصر ويبلغ ارتفاعها قدمين أو ثلاثة وعرضها كذلك تقريبا ، وفي داخل المقهى مقاعد متشابهة على جانبيين أو ثلاثة . ويرتاد المقاهى افراد الطبقة السفلى والتجار وتزدحم بهم عصرا ومساء وهم يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية ، ويحمل كل منهم شبكه الخاص وتبخه ، ويقدم « القهوجى » القهوة بخمس فضة للفنجان الواحد ، او عشرة فضة للبكرج الصغير الذى يسع ثلاثة فناجين او اربعة : ويحتفظ القهوجى ايضا بعدد من آلات التدخين من نرجيلة وشيشة وجوزة ، وتستعمل هذه الأخيرة فى تدخين التماك والحشيش الذى يباع فى بعض المقاهى ، ويرتد الموسيقيون ، والمحدثون على بعض المقاهى ، فى الأعياد الدينية خاصة .. .

وفى كتاب وصف مصر الذى أعدته الحملة الفرنسية جزء عن المقاهى فى زمن الحملة : « تضم مدينة القاهرة حوالى ١٢٠٠ مقهى بخلاف مقاهى مصر القديمة وبولاق ، حيث تضم مصر القديمة ٥٠ مقهى اما بولاق فيبلغ تعداد مقاهيها المائة . وليست لهذه المباني اية علاقة بالمباني التى تحمل نفس الاسم فى فرنسا إلا من حيث استهلاك البن على الرغم من أن هذا المشروب يعد ويشرب بطريقة مختلفة ، فليس فى هذه المباني اثاثات على الإطلاق وليس ثمة مرايا او ديكورات داخلية او خارجية ، فقط ثمة منصات « دكة » خشبية تشكل نوعا من المقاعد الدائرية بطول جدران المبنى ، وكذلك بعض الحصر من سعف النخيل ، او أبسطة خشبة الذوق فى المقاهى الأكثر فخامة بالإضافة إلى بنك خشبى عاوى بالغ البساطة .

ويبدو من وصف المقاهى هنا أنها تشبه إلى حد كبير بعض المقاهى الصغيرة التى لا تزال قائمة فى قرى الصعيد الجنوبى ، لم يكن نظام الجلوس إلى مناضد وفوق كراسى متبعا ، ويبدو أن هذا النظام لم ينتشر إلا بعد إنشاء البارات المخصصة لتقديم الخمر ، ولكن لم ينتقل نظام الجلوس من المصطبة إلى استخدام المقاعد والمناضد مباشرة انما مر بفترة كانت تستخدم فيها الدكة الخشبية العريضة ، ولا يزال مقهى الفيشاوى القديم وبعض مقاهى

القاهرة الفاطمية تحتفظ بدكك خشبية عريضة تتسع الواحدة منها لجلوس خمسة أو ستة أشخاص متجاورين ولا تزال إحدى الدكك الخشبية في مقهى الفيشاوى تحمل تاريخ صناعتها فى سنة ١٩١٠ أى فى بداية هذا القرن ، ويكاد المقهى القاهرى يشبه فى ذلك الحين ، المقهى البغدادى الآن ، والذى يستخدم للجلوس فيها الدكك الخشبية ، غير أن الأدوات التى كانت مستخدمة فى مقاهى القاهرة عند بداية القرن التاسع عشر ، لم تتغير كثيرا حتى الآن .

● أدوات المقهى :

فى أى مقهى قاهرى يطالعنا رف عريض فوق « النصبه » أى المكان الذى يتم فيه إعداد المشروبات ، هذا الرف يحمل عددا من النرجيلات ، وهى آلة التدخين ، وشكل النرجيلة لم يتغير كثيرا عما كان عليه منذ مائتى عام ، فى بداية القرن التاسع عشر ، كانت النرجيلة تتكون من عدة أجزاء ، أولها الجوزة الهندية (وقد حل مكانها الآن البرطمان الزجاجى) ويوضع فيها الماء ، ثم القلب النحاسى الذى يحمل الحجر المصنوع من الفخار ، ويوضع فوقه الدخان ، وفوقه جمرات الفحم ، وتتصل أنبوبة التدخين بقلب النرجيلة (الآن يسمى الأنبوب « الملى ») ويوضع فى مقدمته فم من الكهرمان ، لقد كانت صناعة النرجيلة فى بداية القرن التاسع عشر دقيقة ، ويوجد نماذج عديدة فى دكاكين التحف القديمة بخان الخليلي الآن ، كل منها كالتحفة الفنية ، بعضها صنع من الفضة ، والنحاس ، والزجاج الثمين ، ويوجد حاليا قسم بأكمله من شارع المعز لدين الله فى القاهرة يضم عددا من المتاجر تختص بأدوات المقاهى ، ولوازمها .

وفى بداية القرن التاسع عشر كانت القهوة تقدم فى « بكرج » موضوع على جمر فى وعاء من الفضة أو النحاس يسمى « عازقى » ويعلق هذا الوعاء فى ثلاث سلاسل ، ويقدم الخادم القهوة ممسكا أسفل الطرف بين الابهام والسبابة ، وعندما يتناول الفنجان والطرف

يستعمل كلتا يديه واضعا شماله تحت يمينه ، وتستعمل مجمرة تسمى « منقدا » من النحاس المبيض بالقصدير ، ويحرق فيها البخور أحيانا ، وكانت القهوة يضاف إليها أحيانا الحبهان ، أو المصطكا ، أما الأغنياء فكانوا يضيفون إليها العنبر ، أما الآن ، فالقهوة تقدم فى كنكة من نحاس ثم تصب فى فناجين خزفية صغيرة ، وفى معظم المقاهى تقدم القهوة مجردة ، بدون إضافة أى شىء إليها ، ولكن هناك تاجرا واحدا للبن فى القاهرة الآن يقوم بخلط البن بالحبهان ومواد أخرى تضاف عليها مذاقا خاصا لطيفا ، ويعتبر هذه التركيبة من الأسرار ، ودكانه يقع فى إحدى حواري الغورية بالقاهرة القديمة .

ومن أهم المشروبات فى المقاهى الآن « الشاي » ، وهو مشروب حديث ، لم يدخل مصر إلا فى القرن التاسع عشر ، وأثناء الجلوس باى مقهى قاهرى ، تصل إلى الأسماع نداءات يطلقها الجرسون مناديا العامل الذى يقف وراء المنصة ، يبلغه بطلبات الزبائن ، ولكل مشروب اسم معين ، والشاي له أكثر من اسم :

- شاي بنور : أى شاي عادى فى كوب زجاجى .
- شاي ميرة : أى شاي مخلوط باللبن .
- شاي بوسنة : أى شاي غير مخلوط بالسكر ، إنما السكر فى إناء صغير مجاور له .
- شاي كشرى : أى توضع أوراق الشاي الجافة فى مياه مغلية مع السكر .

أما القهوة فيكتفى للنداء بالآتى :

- واحد سادة : أى بدون سكر .
- واحد مضبوط : أى متوسط المذاق .
- واحد زيادة : أى السكر أكثر قليلا .
- كما تسمى القرفة « فانيليا » . والنرجيلة الصغيرة « حمى » ، والنرجيلة التى تحمل كمية أكبر من الدخان الخالص « عجمى » ، أما الدخان المخلوط بالعسل « المعسل » فينادون عليه قائلين :

« واحد بوري » ، أو « المصري » وبالفعل فهو شكل مصري خالص من التدخين ، وان كان يشبه دخان « الجراك » المعروف في الهند وبعض بلدان الجزيرة العربية ، غير أن الجراك عبارة عن فواكه عطنة مخلوطة ببعض الزيوت ، أما المعسل ، فهو دخان « تمباك » مخلوط بالعسل الأسود .

● أبو زيد .. والظاهر :

حتى انتشار المزياع في مصر ، كانت المقاهي أماكن مخصصة لرواية قصص السيرة الشعبية والملاحم ، وكان أصحاب المقاهي يستقدمون رواة القصص ، وبعضهم يعرف باسم « الهلالية » لتخصصهم في سيرة أبو زيد الهلالي ، والبعض الآخر يعرف باسم « الظاهرية » نسبة إلى الظاهر بيبرس ، وقد ظهرت قصة الظاهر بيبرس في القرن السادس عشر الميلادي ، وهي قصة طويلة تمتاز بخيال خصب ، ووقائع طريفة ، فضلا عن أنها تصور حياة المجتمع المصري بدقة ، وظهرت قصص أخرى هي سيرة الأميرة ذات الهمة ، و « الدرة الملكة في فتح مكة المبجلة » ، و « غزوة الإمام علي مع اللعين الهضام ابن الحجاج » ، و « فتوح اليمن المعروفة برأس الغول » .

ونلاحظ أن قصة الظاهر بيبرس قد انتشرت وذاعت بعد الغزو العثماني لمصر عام ١٥١٧ ، ويبدو أنها كانت كرد فعل على الهزيمة ، والجراح التي لحقت بالناس ، ونفس الظاهرة نلاحظها بالنسبة لمحمدة « أبو زيد الهلالي » التي انتشرت بعد هزيمة الثورة العربية ، والاحتلال الإنجليزي لمصر ، انه رد فعل الشعب تجاه حدث اليم ، وشكل لحماية الذات بواسطة الفن .

كانت هناك قصص أخرى تروى بالمقاهي ، مثل قصة سيف ابن ذي يزن ، وألف ليلة وليلة ، وسيرة عنترة العبيسي ، وكان المنشدون يتخذون آلات الطرب كالربابة والعود ، وقد قضى الراديو على هذه الطائفة قضاء مبرما .

يمكن القول ان العصر الذهبي لمقاهى القاهرة كان فى النصف الاول من هذا القرن ، خاصة فى العشرينات ، والثلاثينات ، وكانت القاهرة الجميلة ، الهادئة وقتئذ ، تزخر بالعديد من المقاهى ، منها مقهى نوبار والذى توجد مكانه الآن مقهى المالية ، وكان مجمعا للفنانين ، وكان عبده الحامولى يقضى أمسياته فيه ، ومعه بعض اصحابه ، ومنهم باسيلي بك عريان الذى أقلس بعد ان أنفق نصف مليون من الجنيهات ، واحيانا كان يضيق بزبائن المقهى فيطلب من صاحبه ان يخليه من الزبائن له ولاصدقائه فقط ، على ان يعوضه الخسارة .

وفى ميدان الأوبرا ، كان يوجد مقهى السنترال ، وموضعه الآن جزء من ملهى صفية حلمى فى ميدان الأوبرا ، وهذا الملهى يضم ايضا مقهى من طابقين حتى الآن ، ويعرف باسم كازينو الأوبرا ، وكانت تعقد به ندوات ادبية لنجيب محفوظ كل يوم جمعة ، وعندما التقيت به لأول مرة كان ذلك فى ندوة الأوبرا الشهيرة هذه . اما مقهى مناتيا فمكانه فى ميدان العتبة الخضراء ، وكان يؤمه جمال الدين الأفغانى ، والإمام محمد عبده ، وسعد زغلول ، وإبراهيم الهلباوى المحامى المشهور ، ثم ارتاده عباس العقاد ، وإبراهيم المازنى ، والشيخ فهم قنديل صاحب جريدة عكاظ التى كانت تصدر فى القاهرة ، وفى ركن المقهى مطعم صغير للبول والطعمية كان رواد التحقى يجدون فيه حاجتهم من الطعام . وعلى مقربة من الموسيقى ، قهوة القزاز ، ومكانها الآن بعض المباني القائمة عند الجانب الايمن من الشارع بالقرب من العتبة ، وعامة زبائنهم من اهل الريف ، الذين يجلسون فيها ويتاملون النساء القاهريات المحجبات بالبراقع البيضاء والسوداء ، اثناء اتجاھهن لشراء حوائجهن من اكبر شوارع القاهرة التجارية فى ذلك الوقت ، شارع الموسيقى ، وبالقرب من مقهى القزاز كان يوجد محل حلوانى اسمه اللبان ، وكان زبائنه من العسكريين القدامى ، والعجائز المتصابين ، بعضهم حارب مع عرايى ، وبعضهم شهد حروب

الحبشة ، ومنهم من حضر فتح السودان ، كانوا يجلسون يتابعون المارة ، ويتبادلون الذكريات المستمدة من سنوات عمرهم البعيدة . وفي شارع محمد على يوجد مقهى « التجارة » ، وهو من أقدم مقاهي القاهرة ، ويزيد عمره الآن عن مائة وعشرين سنة ، ولا زال قائما حتى اليوم ، ومعظم رواده من الموسيقيين العاملين في الفرق التي تتخذ من شارع محمد على مقرا لها ، هذه الفرق التي يطلق عليها ، فرق حسب الله ، وحسب الله هذا كان أحد الموسيقيين بجوقة الخديو إسماعيل ، وعندما خرج من الخدمة شكل أول فرقة للموسيقى تتقدم الجنازات والأفراح .

وفي نهاية شارع محمد على ، أمام دار الكتب ، مقهى الكتبخانة ، وكان من رواده حافظ إبراهيم ، والشاعر عبد المطلب ، والشيخ عبد العزيز البشري ، وكان من رواده هذا المقهى أيضا الشيخ حسن الآلاتي ، وكان الشيخ يرتاد مقهى آخر بحى السيدة زينب ويطلق عليه اسم المضحكخانة ، ويشترط لدخول مجلسه وضع رسالة في التنكيت والقفش ، حتى إذا حازت عنده قبولا ضم مقدمها إلى مجلس النادي ، وقد جمع الشيخ حسن الآلاتي كثيرا من نواير المضحكخانة في كتاب طبع في نهاية القرن الماضي ، ويحمل نفس الاسم المضحكخانة .

وخلف دار الكتب كان يوجد مقهى بلدى صاحبه رجل عرف بهوايته لمصارعة الديوك ، وكان من رواده بعض الأثرياء الذين يشاهدون ما يقدمه من عروض ، وفي شارع الصليبية القريب كان يوجد مقهى الأتراك ، ومعظم زبائنه من الباشبوزق الذين كانوا يؤجرون أنفسهم من بيت محمد على للحرب ، وفي شارع محمد على أيضا مقهى عكاشة ، وهذا المقهى انشئ في الأربعينات ، بناء أولاد عكاشة أصحاب الفرق المسرحية المشهورة ، وكان مقهى مزودا بأجهزة استماع للموسيقى ، يجلس الزبون إلى المنضدة ، ويضع السماعات إلى أذنيه ، ويطلب سماع أى أسطوانة يرغبها ، لقد أدرك الزمان هذا المقهى بخطواته الثقيلة ، فأصبح مجرد مقهى عادى به آثار من العز القديم .

وفى حى الحسين ، مقهى الفيشاوى الشهير ، وعمره الآن يتجاوز المائة عام ، وكان يتكون من واجهة أنيقة ودهليز طويل حوله مقاصير صغيرة صفت فيها موائد رخامية ، ودكك خشبية ، وكانت شهيرة بالشاي الأخضر والأحمر الذى يقدم فى أكواب زجاجية صغيرة ، وفى شهر رمضان يكثر رواده من الفنانين والكتاب والناس العاديين وفى أيام الشهور العادية ، كان للمقهى سحره الخاص ، وداخله يخيم هدوء يمت إلى الأزمان البعيدة الجميلة تؤطره هذه التحف العربية المتناثرة فى المكان ، وأمامه يجلس الحاج فهمى الفيشاوى يدخن باستمرار النرجيلة التى لا تنتهى أبدا ، وعلى بعد خطوات منه حصانه العربى الأصيل ، وفوقه أقفاص الحمام الذى كان مغرما بتربيته ، لقد صدر قرار بهدم هذا المقهى بعد عام ١٩٦٧ ، ولم يستطع الحاج فهمى أن يواصل الحياة حتى يرى نهاية مقهاه ، فمات قبل أن يرتفع أول معول للهدم بأيام قليلة . ولحقه على الفور الحمام الذى كان يربيه . كان من أشهر رواد المقهى الأديب العربى نجيب محفوظ ، الذى كان يخلو إلى جوه الهادىء المعبق بالتاريخ يوميا اثناء عمله بمكتبة الغورى القريبة عندما كان يعمل فى وزارة الاوقاف ، من الشخصيات التى ارتبطت بالمقهى أيضا عم إبراهيم كان رجلا قصيرا ، ضريرا ، يتاجر فى الكتب ، وكان سريع النكتة ، فى ليالى الثلاثينات يجلس إلى عدد كبير من الرواد ، ويبادلهم هذا الشكل الفكاهى من الحوار ، والمعروف فى مصر ، باسم « القافية » وكان يرد عليهم كلهم ويهزمهم ، لقد عرف مقهى الفيشاوى العديد من الشخصيات ، بعضها باق فى ذاكرة التاريخ ، والكثير منها رحل إلى دروب الصمت .

على مقربة من الفيشاوى كان هناك مقهى قديم وغريب ، يقع تحت الأرض ، واسمه مقهى سنى عبده ، وكان دائرى الشكل ، يضم عدة مقصورات ، تتوسطها نافورة مياه ، وقد وصف نجيب محفوظ هذا المقهى فى روايته العظيمة ، الثلاثية ، حيث كان يلتقى كمال عبد الجواد بصديقه فؤاد الحمزاوى ، لقد اندثر هذا المقهى تماما ، ومكانه الآن بعض المباني الحديثة .

ومن المقاهى الشهيرة فى القاهرة القديمة والباقية حتى الآن ،
مقهى عربى الذى يقع بميدان الجيش ، عند نهاية الحسنية ،
وعربى صاحبه كان أحد الفتوات المشهورين فى أوائل هذا القرن ،
وقد بلغ من سطوته ان مامور قسم الظاهر لجأ إليه يوما يطلب
حمايته لان أحد الأجانب هدده ، وكان الأجانب يحاكمون امام محكمة
خاصة فى ذلك الوقت ، ومن رواد مقهى عربى نجيب محفوظ ، حيث
يلتقى باصدقائه القدامى ، وزملاء طفولته ، وفى هذه الجلسة التى
تتم كل يوم خميس تلعلع ضحكات الأديب الكبير ، ويبدو مريحا ،
سريع النكتة ، ولا يطرق هذه الجلسة من الشبان إلا عدد محدود
جدا عرف طريق المقهى الذى يستعيد فيه ادبينا الكبير ذكرياته
وقصص شبابه مع رفاق الزمن القديم ، غير انه انتقطع عن الانتظام
فى حضور هذه الندوة الأسبوعية منذ عامين ، والسبب ، أزمة
المواصلات فى القاهرة ، التى تعوق ادبينا الكبير عن الوصول من
بيته فى العجوزة إلى ميدان الجيش .

وفى مواجهة مسرح رمسيس « مسرح الريحاني » كانت تقع قهوة
الفن ، وفيها البؤساء من الفنانين ، والكومبارس ، والنساء
الضاحكات ، كانت هناك مارى منصور ، وزينب صدقى ، ودولت
ابيض ، وأمينة رزق ، وعزيز عيد ، وفاطمة رشدى ، وأحمد علام
نقيب الممثلين .

أما مقهى « ريش » الذى لا زال موجودا حتى الآن ، فكان من أشهر
مقاهى القاهرة .

وحتى أربعينات هذا القرن يوجد عدد كبير من المقاهى فى روض
الفرج ، مقاه جدرانها من الخشب ، محاذية للنيل ، وفى كل منها عدد
من فناني شارع محمد على ، يعرضون فيها الغناء والمونولوجات ،
ومنهم حسين المليجى ، ونعمات المليجى ، ولهوبة ، وزينب فلفل ،
وغيرهم .

ويوجد فى شارع محمد على مقهى للمنجدين ، وفى باب الشعرية
مقهى لا يرتاده إلا عمال الأفران البلدية ، وبجوار سينما كايرو فى
القاهرة مقهى يؤمه الخرس فقط الذين فقدوا نعمة النطق ، وأشهر

مقاهى النرجيلة فى القاهرة الآن ثلاثة : الندوة الثقافية بباب اللوق ، واخرى تحمل نفس الاسم بمصر الجديدة ، ومقهى ثالث بشارع احمد سعيد بالعباسية .

وإذا ما رحلنا إلى الخمسينات فسنجد مقهى انديانا فى الدقى ، وكان مقرا لندوة أدبية يومية محررها الناقد الراحل أنور المعداوى ، وكان من رواد هذه الندوة رجاء النقاش ، وسليمان فياض ، ومحمد ابو المعاطى ابو النجا .

والآن انحسرت الندوات الأدبية التى كانت تعقد فى المقاهى ، لم يكن متبقياً منها إلا ندوة نجيب محفوظ مع شباب الأدباء فى مقهى ريش ، كل يوم جمعة ، وحتى هذه الندوة توقفت منذ أن قرر صاحب المقهى إغلاقه يوم الجمعة من كل أسبوع .

بالقرب من قهوة ريش ، مقهى آخر يلتقى فيه عدد كبير من المثقفين والأدباء والصحفيين ولكن بشكل غير منتظم ، وهو مقهى « الندوة الثقافية » ، وهو مشهور بالنرجيلة ، ويوليها اهتماما خاصا ، فى نفس الوقت الذى لا تعنى فيه المقاهى الأخرى بهذا النوع من التدخين .

● وحدة إنسانية :

لقد ولى العصر الذهبى للمقهى ، ولكن هذا لا يعنى تقلصها ، أو انحسارها ، صحيح أن المقاهى التى تفتح حديثا نادرة للغاية ، كما أن محلات تقديم المشروبات ووجبات الطعام السريعة تنتشر الآن ، ولكن لا تزال أكثر من خمسة آلاف مقهى فى القاهرة تعج بالزبائن والرواد ، كل مقهى منها يمثل وحدة سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وإنسانية ، فيه تصب كل العناصر التى يتشكل منها المجتمع ، الراى العام للناس يتشكل فى المقهى ، وخلال الفترات التى ينتخب فيها أعضاء البرلمان يكون المقهى هو المكان الذى تنطلق منه وتتركز فيه الدعاية ، ويطوف المرشح بمقاهى المنطقة ، يجلس إلى الرواد ويتحدث إليهم ويتودد إليهم ، وقد يدعو كل الجالسين لشرب الشاي أو القهوة .

ويرتبط المصريون بالمقهى ارتباطا كبيرا ، ولكل منهم مقهاه المفضل الذى يقع عادة بالقرب من سكنه أو مقر عمله ، قال لى أحد العاملين بهيئة الأمم المتحدة انه عندما ذهب إلى نيويورك فى أواخر الخمسينات شعر بفراغ غريب ، ثم أدرك بعد حين ان السبب افتقاده للمقهى ، والجلوس به ، وطاف بنىويورك حتى عثر على مقهى يونانى فيه طابع مقاهى حوض البحر المتوسط الذى يقترب إلى حد ما من المقهى العربى فى مصر ، ولدهشته فوجيء بوجود عدد من المصريين يرتادون المقهى ، وكان عدد المصريين فى نيويورك كلها وقتئذ لا يتجاوز الثلاثين ، وفوجيء انهم اتخذوا مقرين للجلوس ، المقر الأول مقهى ذلك اليونانى ويرتاده الصعيدية ، والمقهى الثانى قريب ويرتاده أبناء الوجه البحرى . فى المقاهى يتخذ البعض مقرا ثابتا لأعمالهم التجارية ، مثل السماسرة ، والمقاولين ، كما يطوف بها الباعة الجائلون يحملون بضاعتهم التى تتشكل من أقلام الحبر والنظارات ، والمحافظ الجلدية ، وسلاسل المفاتيح المعدنية ، وعندما يدرك التعب أحد هؤلاء الباعة يأوى إلى مقعد ملتصقا بعض الراحة ، وفوق ملامحه يبدو الشقاء والكد .

يرى البعض ان المقاهى أماكن يتبدد فيها الوقت ، وتعطل الإنتاج ، ولكننى إذ أركن إلى أحد مقاهى القاهرة القديمة ، أحاول تلمس معالم هذا الزمن الرائق الحلو الذى ننتقده الآن فى الضجيج والزحام ، وإيقاع الحياة السريع اللاهث ، ان المقهى نموذج مصغر لعالمنا الذى يضحج بكل ما تحتويه دنيانا .. » .



النرجيلة

« .. عرفت النرجيلة منذ خمسة عشر عاما ، عرفتھا كصديق صامت ، يأنس إليه الفؤاد عندما ينوء تحت وطأة الأحزان والأكدار ، صديق يساعد العقل على التركيز ، واقتناص شوارد الفكر من هنا وهناك ، بدون أن يفرض مطالب خاصة ، أو إزعاجات ، أو يمر بمراحل القلب من حب وكرم وبغض ، إذا ما تضاعفت الوحدة تبعث قرقرة المياه ونسة ، وتوحى الجمرات المتوهجة بحدود عالم سحري ، مبهم ، عرفت النرجيلة في آخر زمانها ، فلا شك أنها تذوى ، ويدهسها إيقاع العصر السريع ، وفي كل بلد ذهبت إليه كنت أبحث عن النرجيلة ، عرفتھا في مقهى هافانا بدمشق ، وفوق جبل قاسيون ، أرقب الأفق الأخضر البعيد من خلال صحبتها ، نرجيلة دمشقية أنيقة بزخارفها ، ودقة صناعتها ، أما النرجيلة البغدادية في مقهى الأرقى بشارع السعدون فهي غنية بالتمبيك ، خشنة المظهر ، يشرف على تقديمها رجل عجوز ، يحيط خصره بقوطة حمراء . صامت دائما وكأنه يؤدي طقوسا خاصة لا يجوز الاطلاع على مكنونها . أما النرجيلة القاهرية فهي إنسانية في مجتمعها ، لها مجتمع خاص ينجم حوله الأصحاب ، أصحاب من نوع خاص يجمعهم هواية تدخين النرجيلة ، وبعد أن كانت تقدم في أماكن خاصة ، وفي أزهى الأشكال انزوت الآن في مقاه قليلة ، أما النرجيلة التركية فقد كادت تختفي ، ولا تقدم إلا في عدد قليل من المقاهي ، خشنة المظهر ؛ ذلت بعد عز كبايا الامبراطورية العثمانية ، يقبل عليها شباب الهيبز الأوربيين وكانها أعجوبة ، ينفثون دخانها ويحملقون إلى مياه القرن الذهبي من موقع ذلك المقهى تحت كوبرى جلطة .

قد تختلف النرجيلة من هنا إلى هناك ، ولكنها بشكل عام آخذة في الاضمحلال ، والزوال . مع زحف إيقاع العصر السريع ، على روح الشرق التاملية ولن يمضى زمن طويل حتى يولى عصر النرجيلة تماما .

● التبغ :

كانت البداية من أمريكا ، عندما رأى البحارة الأوروبيون هنود القارة الجديدة يدخنون هذه المادة التي تبعث دوارا خفيفا ، التبغ ، ومنها انتقل إلى أوروبا ، ثم إلى الشرق ، وظهر الدخان في مصر سنة ١٠١٢ هـ ، واثار ظهوره خلافات حادة بين علماء المسلمين ، وتمسك معظمهم بتحريمه ، ولا زال الوهابيون يحرمونه حتى الآن ، وكانت الأوامر تصدر بمنعه أحيانا ، في حوادث سنة ١١٥٦ هـ ، يذكر الجبرتي ان الوالى العثماني اصدر أمرا بمنع التدخين ، ونزل معه الأغا ، وتابع بنفسه المنع ، حتى انه كان يعاقب المدخن بإطعامه الحجر الذى يوضع فيه الدخان بما فيه من النار ، لكن المتصوفة تعصبوا للدخان ، كما تعصبوا للقهوة والشيشة من قبل ، ونظم ابو الذهب البكرى قصيدة فى الدخان :

هات اسقنى التبغ ان نبع الصفا سحرا
حتى اضرب منه وهو اغشاء
واستجبل انوار شمع من
قد زانه قامة بالحسن هيفاء
لعل نار اسى بالبعد قد وقدت
يوما يكون لها بالقرب اطفاء

ولم تكن لفائف التبغ معروفة وقتئذ ، إنما كان التدخين يتم بواسطة المشبك ، أو النرجيلة ، وكان المدخنون يحملون المشبك اما بين ايديهم ، او مع الخادم خلفهم إذا كانوا أثرياء ، ويبلغ طول قصبة التدخين - كما يصفها ادوارد لين - أربعة اقدام أو خمسة ، ويغطى بالحريز الذى تحد طرفيه سلوك ذهبية محبوكة بالحريز الملون ، أو تحدهما ماسورتان من الفضة المذهبة . ويتدلى من الغطاء الحريز فى الحد الأسفل شرابة حريرية ، وكان هذا الغطاء يبلل بادیء الأمر بالماء فيبرد بالتبخر المشبك وبالتالي الدخان ، أما الحجر الذى يوضع فيه التبغ فهو من الآجر ولا زال يصنع من نفس المادة حتى يومنا هذا ، وكان يوضع تحت الحجر صينية

نحاسية صغيرة لصيانة السجاد أو الحصر من النار ، أما « الفم » فيتكون من قطعتين أو أكثر من الكهرمان الفاتح اللون ، يصل ما بينهما زخارف من الذهب المرصع بالمينا والحجر اليماني واليشب والعقيق ، وخلاف ذلك من الأحجار الكريمة ، والفم أئمن جزء في الشبك وقد يرصع بالماس . وكان الشبك يحتاج إلى تنظيف متواصل ، شأنه في ذلك شأن البايب الآن ، لهذا كان كثير من الفقراء يعيشون على تنظيف الشبك ، ويبدو أن العائلات المسماة بالشبكشي كانت أصلا تتاجر في الشبك ، أو تقوم بتصنيعه ، وهناك سمة مشتركة بين الشبك والنجيلة وهى طول قصبه التدخين وبعد الحجر عن المدخن ، ويبدو أن ذلك ناتج عن الطبيعة الحارة للبلاد الشرقية ، بعكس البايب الغربى ، الذى يحيطه المدخن بيديه فيسرى إليهما الدفء من الحرارة المنبعثة فى الخشب ، لقد انقرض الشبك الآن تماما ، واصبح معلقا فى المتاحف على الجدران ، أو فى مراكز بيع الإنتاج الفولكلورى القديم ، خاصة فى بغداد ، حيث يضم المركز الفولكلورى انواعا متعددة من الشبك ، ولا شك ان النجيلة ماضية فى الطريق نفسه ، فبعض النجילות الثمينة ، المصنوعة من الزجاج الملون ، والمرسوم عليها صور بعض سلاطين الأتراك أو الحكام العثمانيين . أو بعض المناظر الطبيعية ، اما نراها الآن فى المتحف ، أو معروضة فى بيوت الأثرياء .

النجيلة مشتقة من لفظ « النارجيل » الاسم الذى يطلق على ثمر جوز الهند ، يمكن القول ان ترجمته الحرفية تعنى « الجوزة » وهو الاسم الذى تعرف به النجيلة الشعبية فى مصر ، لانها كانت مكونة فعلا من ثمرة جوز هند مفرغة ، وثقب مرتين ، ثقب يوضع فوقه الحجر ، وثقب تنفذ من خلاله انبوبة خشبية يتم من خلالها استنشاق الدخان الذى يمر خلال الماء الموضوع فى الجوزة نفسها ، وصف الرحالة والعالم الدانمركى كارستين نيبور « الجوزة » المضربة ، التى لم تتغير ملامحها حتى أوائل هذا

القرن ، وعندما ارتفعت أسعار ثمار الجوز فاستبدل به كوز صفيح فارغ ، أو زجاجي ، وهذا أبسط الأشكال الشعبية للزرجيلة ، ويدخن بواسطته المعسل ، وهو الدخان الممزوج بالعسل ، ويعرف في المقاهي المصرية باسم « البورى » أو « المصرى » ، يقول كارستين نيبور ان العامة يدخنون الجوزة للتدفئة أيضا ، ولكن الزرجيلة الأنيقة التى تستبدل فيها الجوزة ببرطمان زجاجي فان كرستين نيبور يطلق عليها « الزرجيلة الفارسية » ، ويقول ان أثرياء فارس يتخذون هذه الزرجيلة وكثيرا ما تكون كلها مصنوعة من الفضة ، أو النحاس ، وتوجد فى خان الخليلى الآن زرجيلات من النحاس المنقوش ، يمكن أن يدخن منها عدة أشخاص فى وقت واحد ، عن طريق عدة ليات تخرج منها ، ومثل هذه الزرجيلات تستخدم فى بعض بلدان الجزيرة العربية خاصة اليمن والسعودية ، ويقول نيبور ان شيراز كانت مشهورة بصناعة الزرجيلات الزجاجية الأنيقة ، وأحيانا كانت توضع فيها زهور مختلفة الألوان مثبتة من الداخل ، والزرجيلات الفارسية كانت منتشرة فى الهند أيضا حتى القرن الماضى ، غير ان ادوارد لين يقدم إلينا وصفا أدق للزرجيلة فى مصر .

الشيشة كلمة فارسية تعنى الزجاج ، وهو الاسم الذى تعرف به الزرجيلة الآن فى مصر ، وهذا الاسم نتيجة للوعاء الزجاجي الذى يملأ بالماء إلى قدر معين ليمر الدخان من خلاله ، ويقول ادوارد لين ان التدخين يتم من خلال أنبوبة طويلة لينت « تسمى لى » . ويغسل التمباك عدة مرات بالماء ، ثم يقطع ويوضع فى حجر الشبك وهو رطب ، ويوضع عليه جمرتان أو ثلاثة ، ويقول لين ان للتمباك عطرا لطيفا مقبولا ، لكن شدة استنشاق الدخان فى هذا النوع من التدخين يضر الرئة الضعيفة ، ان الوصف الذى كتبه ادوارد لين منذ حوالى مائة وخمسين عاما لم يتغير كثيرا حتى الآن ، ولكن الذى تغير هو شكل الزرجيلة ، ونوعية الدخان ، حتى الخمسينات كانت هناك انواع متعددة من التمباك ، عجمي ، ولانقاني (نسبة

إلى اللاذقية) وازميرلى ، وهندى ، ويمنى ، وعدنى ، ولكن الآن تنقسم الشيشة فى مصر إلى نوعين رئيسيين ، عجمى وهو نوع خاص من الدخان مصدره إيران أو تركيا ، ويوضع بكمية أكبر فوق الحجر ويلف بورقة تمباك صحيحة لم تقطع بعد أن تبل بالماء . وتشبه الشيشة العجمى مثيلاتها فى دمشق وبغداد وإستامبول ، لكن نوعية التمباك الذى يصل إلى مقاهى القاهرة أردا ، ولهذا فإن النرجيلة العجمى يعتبر دخانها قاسيا ويحتاج إلى صدر قوى لتحمله ، أما النوع الثانى فهو الشيشة « الحمى » ، وكمية الدخان فى الحجر هنا أقل ، ونوعية الدخان أهدأ ، وهذا هو النوع الأكثر انتشارا الآن .

وأشهر مقهى فى القاهرة لتدخين النرجيلة الآن مقهى الندوة الثقافية فى ميدان باب اللوق ، وكان صاحبه محمد حسنين يمتلك مقهى بناه فى سنة ١٩٢٠ بشارع منصور بالقرب من مكان الغرفة التجارية الآن ، ثم هدم المقهى عام ١٩٥٩ ، وانتقل أبناؤه رشاد وجلال وعلى إلى هذا المقهى القائم حتى الآن ، والذى يؤمه عدد كبير من الكتاب والفنانين من هواة تدخين النرجيلة ، لكن حتى منتصف القرن كانت هناك أماكن متعددة ، مشهورة لتدخين النرجيلة أهمها مقهى الأوبرا ، أو كما كان يعرف فى الثلاثينات والأربعينات باسم كازينو بديعة نسبة لصاحبه بديعة مصابنى ، كانت تقدم فيه النرجيلات للزبائن ، كل زبون له « لى » خاص به مكتوب فوقه اسمه ، لا يدخن به شخص آخر ، وكان الحجر يقدم محفوقا بالزهور ، وفى الماء توضع ثمرات من الكرز ، وكان يجلس بالمقهى عدد من كبار رجال السياسة ، والاقتصاد ، والأدباء وأهمهم نجيب محفوظ المدخن العريق للنرجيلة ، وكان منظرا مألوفاً أن ترى السيدات المحجبات يجلسن بهذا المقهى ينفثن دخان النرجيلات بوقار ، بينما تمر بديعة مصابنى بنفسها تتأكد من وفرة الجمر ، وإراحة الزبائن ، كانت هناك مقاه أخرى مشهورة بالنرجيلة ، مثل مقهى عرابى فى ميدان الجيش ، ومقهى الفيشاوى فى الحسين ،

والذى كان يجلس امامه المزحوم فهمى الفيشاوى لا يفارق الفم فمه ليلا ولا نهارا ، كان ذلك بعد أن فارق الشباب وهجر الفتوة والشقاوة ، وكان هناك مقهى نوبار الذى كان يغنى فيه عبده الحامولى ويرتاده خليل مطران ، وسليم سركييس الصحفى ، ومقهى الكتبخانة امام دار الكتب ، وكان يقدم الشيشة لحافظ إبراهيم الشاعر ، والشيخ عبد العزيز البشرى ، وغيرهما ، وكان هناك مقهى الشيشة فى شارع الجمهورية ، ومكانه الآن دكان للتجارة ، وكان يجتمع فيه هواة التدخين ، وهواة المصارعة بالكلاب ، أما مدينة الاسكندرية فتزدحم حتى الآن بعدد من المقاهى المشهورة بتقديم النرجيلة ، مثل مقهى التجارة ، ومقهى جابر بالمنشية ، ومقهى فاروق بحى بحرى ، ومقهى وادى النيل بالرمل .

وتصنع النرجيلات فى منطقة القاهرة القديمة ، وتوجد عدة متاجر متجاورة بشارع بين القصرين تباع النرجيلات ، وادوات التدخين ، من حجارة وليات ، وغيرهما ، ويبلغ ثمن النرجيلة المصنوع قلبها من النحاس وهو الجزء الذى يصل بين البرطمان الزجاجى والحجر ، حوالى خمسة عشر جنيها ، أما النرجيلة المصنوعة من النحاس الخالص المنقوش والتي تباع فى متاجر التحف بخان الخليلي ، فيبلغ ثمنها عدة مئات من الجنيهات ، واذكر قسما خاص بالنرجيلات يحتل احد فروع سوق الحميدية بدمشق بالقرب من المسجد الاموى .

وفى الثلاثينات كان متوسط سعر النرجيلة من التبغ عشرة مليمات فى مقاهى القاهرة ، وفى الأربعينات كان ثلاثة قروش اى ثلاثين مليما ، وخضع سعر النرجيلة للتطور ككل شىء الآن فى القاهرة يبلغ سعر النرجيلة الحمى عشرة قروش ، والعجمى تصل إلى أربعين قرشا ، أما الكيلو من التبغ الخاص بالنرجيلة فثمنه ثلاثون جنيها ، وكان فى اوائل الخمسينات بثلاثة جنيهات ، فى دمشق تستطيع أن تدفع نصف ليرة سورية مقابل تدخين نرجيلة فلخرة ، كذلك فى بيروت ، فى بغداد ثلاثين فلسا ، وفى استامبول

يبلغ قيمة النرجيلة لحجر واحد ما يوازي نصف جنيه مصري .
على أية حال ، فالنرجيلة ماضية في طريق الانقراض ، ولن تمر
سنوات طويلة قبل أن توضع في المتاحف ، وانتي لأرثي لهؤلاء
الذين سيأتون في الأزمان المقبلة ، فلن يجدوا صديقا صامتا ،
مستجيبا يلجأون إليه إذا ما ازداد الكرب ، واعتم الواقع ، وادلهمت
الظروف ، وبدأت الأيام رمادية مثقلة بكل باعث للضيق ، والكتمة ،
نحن نلجأ إلى النرجيلة ، ولكن هم .. إلى من سيلجأون ؟؟ .

● جمال الغيطاني

■ تمهيد ■

لم يخطيء بونايرت حين قال : ليس من الشرق الاسطوري أو المتحضر ، من لا يضيع وقته في مقهى أو يضحى بقليل من عمره في إعداد المشروب الساحر . وهو يقول أثناء حملته على مصر : كان لدى دائما سبع تنكات فوق النار ، وذلك لكي استعين على الحديث مع الأتراك (*) الذين يجعلونني أسهر طوال الليل بحديثهم عن العقيدة : كانت الحبوب الخضراء الثمينة ، السوداء في الخيال ثم من موكا عبر طريق مكة ، وطريق قوافل الصحراء ، وتبحر إلى الاسكندرية ، في طريقها إلى البندقية ، حيث تساهم في إشاعة البهجة في الأوساط التركية بأوروبا التي لم تنس شيئا من دروس تلك السنة المشهورة وهي سنة ١٦٨٣ : فإن المدعو جورج كويشركي ، الضابط البولوني ، بعد أن وضع نهاية للغزو الأجنبي لفيينا ، استولى ، كغنيمة وحيدة على جميع أكياس البن من الغزاة ، وافتتح له محلا ، في حين راح الخباز بيتر وندلر ، في احتفاله بالنصر مع الأتراك ، يصنع فطائر كرواسان . ولكن بدا ان مقاهى الشرق قد بدأت قبل ذلك تفقد رونقها ، فقد أصبحت المقهى مكانا أدبيا ، وفقا للعادة ، وكشفت البروكوب^(١) أسرارها للغويين وأصحاب الموسوعات ،

(١) البروكوب هي اقدم المقاهى الأدبية بباريس ، انشأها الصقلي فرانسوا بروكوب ، والتقى فيها بيرون وسباستيان مرسيه وفريرون مونسيف . وتحولت إلى ناد أثناء الثورة ، برئاسة هيبيرت . وكان من بين رواده الفريد دى موسيه وجورج صاند وجامبيتا وانتول فرانس وهوسمان وكوبيه ونيرلين وغيرهم .
ملحوظة : * المقصود هنا امراء المماليك ، وشيوخ الأزهر ، وشيوخ الطوائف والحرف المصريين .

واصبح السائل نفسه تافها ، وتخفف من سحره العجيب لكي يعقد اتفاقا مذهلا مع لين الأبقار النورماندية .

ليس هناك أجود من القهوة الشرقية . وقصتها تبين لنا الصلة المثالية التي تربط بينها وبين جميع مدن البحر الأبيض المتوسط . بل انك ما ان تقلب النفل السميك ذات مرة حتى يمكنه ان يكشف لك ، فوق الصحن الأبيض الصغير مصير تلك الأملكن العريضة جدا على لوتى وفرومنتان . وإذا راق لأحد ان يقول ، بحق أحيانا ، ان المفكرين ببلادنا يهجرون تلك الأملكن الغضة والحقيرة ، فلا يمكن إلا أن نتحقق من بقاء عادة إدمان القهوة . وحتى اليوم فلن وجوه أهالى البحر الأبيض المتوسط تكتنفها ادخنة النرجيلة ، مع تلك اللمسة الزرقاء التي تكسبهم إياها انوار شاشات التلفزيون ، الراويات الجدد الأثرية لملحمة الظاهر بيبرس . وناهيك عن تلك المطابخ المتجولة التي تنتقل فى شوارع المدن وفى الأرياف ، والتي تقدم أحيانا موسيقى فريد الأطرش وأم كلثوم وسيد درويش ومحمد عبد الوهاب عبر مكبرات الصوت .. وهذا هو السبب فى أن الأزمة المؤسفة لتزايد السكان والاسكان التى تعرفها بلاد الجنوب تضمن للمقاهى الأدبية او لمقاهى الحى رواجاً مستمرا ، إذ أين يجتمع الرجال فى غير تلك الأملكن ؟



وجيرار جورج الذى تدين له المقاهى بأنه قدم لها ، هذه السنوات الأخيرة ، كمهندسين معماريين جدد وفنيين دلبرا وكورودا وراينو وزيفولا وبورتو جيزى ومونتيس وجاروست وكثيرين غيرهم^(١) يذكر فى كتابه المقاهى الأدبية والثورة التى جعلت من القهوة فى أرض الإسلام ، « الأبولون الأسود والباخوس الجديد »

(١) يضم معرض مقاهى الشرق اعمالا حديثة لستياجو وروبرتو بارنى وريكا ريدوكليرو وبيير ملوك دى بيلزى وجيراردو وديكولا وديكس وسلمى جورييز واكى كيرورا وفرانسوا لامور وجان لامور ولويك ملديك وفكتور ميرا وبولو مونتوريزى واوريست زيفولا .

« وهكذا فإن الجنون الفاجر والباهظ الثمر لخمير الألوهية المسرف قد قضت عليه الصحوة والمنطق الذى ولدته القهوة ، وإن خمول ديونئوس أصبح معيبا امام اليقظة الروحية التى تسببها عربية الإيمان الجديدة ، فضلا عن أن الخمر تحلّ مكانا كبيرا عند غير المؤمنين ، بتحولها إلى دم المسيح فى سر القربان المقدس . »
ويكفى للاقتناع من ذلك أن نقرأ الأناشيد التى نظمها الشاعر التركى تكريسا للقهوة .

وقد عانت مقاهى الشرق قليلا من قصص بها من الغرابة الكثير ، رواها الرحالة الأوروبيون فى القرون الأخيرة ، فبول موران لم يستطع أن يصف المقهى القديم بالقاهرة فى كتابه « الطريق إلى الهند » دون الإعجاب بأجوائها والافتتان بالصوانى الكبيرة من النحاس المطروق باليد ، والشبيه بالشمس الغاربة فى الصحراء فى امسيات الرياح والرمال .. وأن يكشف فى دهشة شاعرية انه ليس هناك أجمل من كوب ماء أبيض فى الشمس ، بكل بياضه ، بجوار فنجان من القهوة السوداء . وإذا اعتبرنا كل شىء ، فأننى أفضل على قوله هذا مقولة بونابرت الأقل رثاء ، فهو رغم ما يعانىه من الآم محرقة فى معدته ، يعرف أن القهوة التى يجتسيها مع المصريين يمكن أن تخدم غرضه السياسى . من تلك الاساطير المخففة عانت مقاهى الشرق ، فضلوا عليها القهوة البلزاقية ، وقد أصبحت فجأة أكثر واقعية . فمن تنكة علاء الدين لا تخرج الصور إلا مترجمة إلى افكار : ثورات فى المدارس ، المفكرون يصممون جغرافيا المؤسسة الباريسية التجارية ، فالمقهى الصغيرة سواء كانت محلا أو مجرد غلاية ، مقامة على ناصية شارع تصبح مؤسسة . والقهوة غدت رمزا مستديما أو مسمى ، ولكن المياه الغازية والمشروبات الكحولية تقدم فيها بمهارة ، مالم تقدم الكريمات المثلجة ومشروبات ديدرو وبالإمبير المؤرخين الشهيرين .

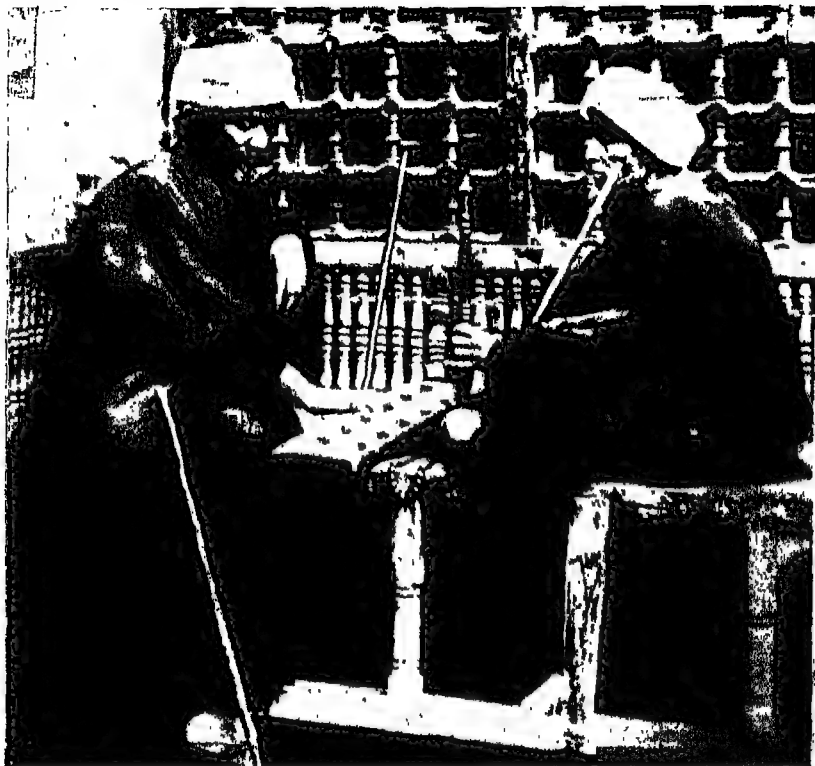
وقد رات مقهى باليه رويال عصرها الذهبى قبل أن تتوارى امام مقاهى البوليفار الكبير التى احتضنت الماساة : فقد تصدر كورتلين

ودوماس واناتول فرانس شرفاتها ، ثم خلفتها مقاهي مونبارناس : الكوبولى وتعوزيرى دى ليلا . ولا يزال بعض الفاشلين من الألباء يخلفون إليها حتى اليوم ، ويلمعون باكمام جاكثاهم المقلوبة أوسمتهم النحاسية التى تخيل لهم أنهم يجلسون مكان فيرلينى وفاليرى أو مالارويه . وإذا كان ولايد أن نذكر الانهيار أخيرا فإن جرمان دى برية من مورا إلى جياكومينى حيث كان المفكرون يمضون فى الشتاء - وذلك اثناء الاحتلال - للاستمتاع بدفء الموقد ، ويحيلون المكان فى الصيف إلى صالونات وضمائرهم مستريحة . وراجت أماكن أخرى خارج فرنسا فى تلك الأوقات : مقهى الكافييوم ، ومقهى جرينكو فى روما ومقهى ميشيل انجلو فى فلورنسا ، ومقهى سبيلى والسنترالى فى فيينا .. فى حين أن مقاهينا الشرقية الصغيرة لم تمتد إليها الموجات الأدبية ، واخذت تستمر فى تبيد ادخنتها ومشروباتها .

يروق لهذا الكتاب أن يحيى اليوم تلك المقاهي ، وقد انطلقت المعاهد والمراكز الثقافية الفرنسية بهذه المنطقة فى أثر هذه الأسطورة الحية ، وجمعت أوطلبت من بعض المصورين الفوتوغرافيين ريبورتاجات ، كما جمعت مستندات ورات أن تقدم للجماهير نتائج أبحاثهم ، أبيض وأسود . ويريد هذا الكتاب أن يبقى أثرا .. اثرا لهذه الرابطة التى تجمع البلاد التى تمثلها مراكزنا الثقافية الفرنسية ، والتى تشترك لأول مرة فى نشره ، فإن القهوة والمقاهي ترسم حدود ثقافة جماعية خيرا مما تفعل الأنهار وخيرا حتى من البحر الأبيض المتوسط الذى يجمع بين تلك البلاد . ومن مقاهي الشرق تلك ، لا يزال نامل ، كما يقول القصاص المصرى جمال الغيطانى ، أن نسمع فى غروب الشمس ، الشاعر ينشد على أنغام ربابته الملاحم الشهيرة لأبى زيد الهلالي ، مالم يتعلق الأمر ببعض أشعار قسطنطين كفاى .

● أوليفيه بوافر دارفور

سيد القهوة



القهوة

يحيط بظهور القهوة غموض ، وبسبب ذلك الغموض تولدت
اساطير ، ازدادت بمر القرون ، وبحكم تكرارها اصبحت حقائق ،
لان قوة الاسطورة هى فى سد فراغ ، وكما نعرف كثيرا فان روح
العلمية تخشى الفراغ .

واقرب إلى التصديق ، لأول وهلة ، القصة التي يذكرها عالم اللاهوت الإيطالي فوستونيروني ، في القرن الثامن عشر ، وينسب فيها اكتشاف النبات الثمين إلى أحد الصوفية ، فالمفروض أن هذا الأخير رأى بعض العنزات ترعى أوراق وحبوب شجرة صغيرة ، وانها لم تلبث أن أصيبت بحالة من السكر ، وذهل الراهب الطيب وهو يرى المنظر الذي يدور أمام عينيه ، وأراد أن يتحقق من الأمر ، فقرر أن يتذوق تلك الحبوب ذات القدرة الفائقة ، فعلى بعضا منها في قليل من الماء ، وبذلك تم اكتشاف القهوة . والواقع أن رواية نيرونى ما هى إلا ترديد لرواية ريتشارد برادلى التى ضمنها كتابه « تقرير تاريخي وجيز عن القهوة » الذى صدر فى لندن سنة ١٧١٤ ، فقد نسب فيه هذا الاكتشاف إلى أحد الرعاة ، وليس إلى أحد الصوفية .



وإذا كان يبدو أن القهوة ظهرت فى اليمن السعيد فى منتصف القرن الخامس عشر ، فليس هناك أى أثر مكتوب بخصوص استعمالها ، والظاهر أن المؤرخين العرب قد عانوا نفس الصعوبة فى تفسير مصدرها .

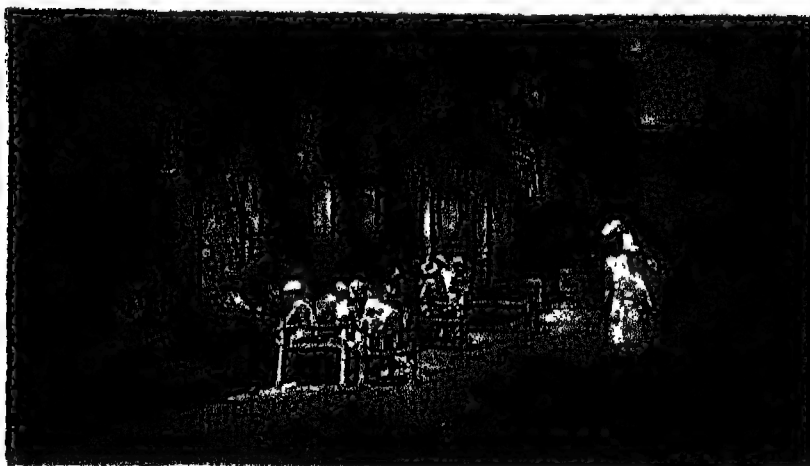


وينتهى الكاتب فى قصته مؤكدا أن القهوة قد نسي أمرها بعد ذلك تماما حتى القرن الخامس عشر .

والأدب العربى ، بقدر ما أعلم ، صامت فى هذه النقطة ، ولم تبدأ الكتب التى تعالج مسألة القهوة فى الانتشار إلا متأخرة جدا . وتلك الكتب تهتم قبل كل شيء بمصدر هذا المشروب الجديد ، وأحدها كتبه عبد القادر الجزيرى ويعتبر حجة فى هذا الأمر . ولم تلبث الآراء التى يضمها أن تناولتها غالبية كبيرة من الكتاب الذين جاءوا بعده ، وهو مقتنع بأنه يعرف قصة القهوة عن يقين ، ويصرح :

يقال اليمن وحدها لأن ظهور القهوة حدث في أرض ابن سعد الدين في بلد الأحباش والجبارنة ، وفي أماكن أخرى من أرض مملكة العجم . ولكن وقت استعمالها لأول مرة غير معروف ، وكذلك سبب استعمالها غير معروف هو الآخر .

ولم يخطئ الجزيري لأن المعروف أن كلمة قهوة كانت شائعة قبل ظهور كلمة البن وتقبل الناس له . وطبقا لأحد واضعي المعاجم العرب في آخر العصور الوسطى ، فإن القهوة هي الخمر ، وقد سمى كذلك لأنه يسكر الرجل ويجعله يفقد الشهية التي يحتاج إليها . وقد أكد آخرون أن هذه الكلمة مشتقة من كلمة « كافا » وهي اسم منطقة بالحبشة ، من المعتقد أنها موطن البن . ويعتقد آخرون أنها اشتقاق من لفظ « قوة » وهي كلمة معناها القوة أو القدرة .



● مقهى عربية بـمـدـن

وقد ناقش الجزيري هذه النقطة الدقيقة من اللغة في عناية كبيرة ، ويفترض أن القهوة صنعت في البداية من « الكافتا » أي من أوراق معروفة باسم « قات » ، ولم تصنع إذن من حبوب البن أو من قشورها . واستعمل ذلك المنقوع راح ينتشر من منطقة إلى أخرى حتى وصل إلى ميناء عدن المحمية . وفي عدن ، في عهد الشيخ الذبھاني لم يكن هناك « كفتا » وقد صرح لتابعيه وللذين ارتبطوا به في تصرفهم أن حبوب البن تثير الانتباه هي الأخرى .. وهكذا جربوها ، واكتشفوا أنها تؤدي نفس المهمة التي تؤديها تلك المصنوعة من القات ، وبتكلفة أقل وبدون أن تتسبب في أية اضطرابات . وأبدى رأيه وقال انه لا يوجد أي تناقض بين هاتين الكلمتين ، مدامت الأولى قد حلت محل الثانية التي بطل استعمالها ، وكل ذلك ليس طبعاً إلا مجرد تخمينات وضرورة تكوين مقومات منطقية ، حتى لمسمى القهوة يحل في نفس الوقت غموض هذا المشروب الذي يشهد به اللسان قبل أن يتقبله أحد .

□ □ □

● الذكر :

عندما رحل دوهسون إلى الشرق الأوسط في القرن الثامن عشر ،
زعم أن أول من استخدم القهوة العربية صوفى من موكا عاش حياته
كلها في الصحراء يتناولها ، وأنها أذهلت تلاميذه ، وراحوا
يمتدحون خواصها في مدينة موكا كلها .

وقد استند ذلك المؤلف إلى الدراسات التي وضعت قبل زيارته
بوقت طويل ، وكلها تشهد بأن شيخا صوفيا هو الذى وجد فى تناول
القهوة سندا يساعده على قضاء شعائره الدينية .

وعندما زار كارستن نيوبهر اليمن ، فى أوائل القرن الثامن عشر ،
علم أن الشاذلى . وهو رجل تقى ، عاش قبل ذلك بأربعمئة عام ، قدم
القهوة لبعض المطلعين على أسرارهِ . ويذكر لنا نجم الدين الغازى
صورة أخرى فيقول : « أنه مر فى تجولاته بشجرة بن ، واقتات من
ثمرتها ، كما هى عادة الرجال الأتقياء ، وادّشّه أن أحدا لا يقربها
رغم نضجها ، ورأى أنها نشطت ذهنه ، وتسببت فى انتباهه وإثارتِهِ
(لممارسة الشعائر الدينية) . وبدأ إذن بتناولها كطعام وشراب .
ودعا تلاميذه أن يحذوا حذوه ، حتى الوقت الذى راح فيه كل من فى
اليمن يتناولها . ويقدم لنا الجزيرى قصة أخرى فيذكر أن فخر الدين
الحقى يقول : أكدوا لنا أن النبّهانى هو أول من قدم القهوة . ولكن ،
ما نمى إلينا من عدد كبير من الناس هو أن أول من قدم القهوة وجعل
من تناولها عادة عامة وشائعة فى اليمن هو تلميذ لسيدنا الشيخ ..
ناصر الدين بن مايلك ، أحد أساتذة شيوخ الطريقة الشاذلية .
(ويقال) أن (القهوة) استخرجت فى البداية من الكافا (...)
وأن تناولها استمر فى الانتشار .

ومهما تكن وجهة النظر المختارة ، فإن تلك الأقوال المختلفة تتفق
على الأقل فى شيء واحد ، وهو أن الشخص الذى نادى بفوائد
القهوة قد يكون شيخا قديما من شيوخ الطريقة الصوفية . على أن
هناك افتراضا بأن أولئك المتدينين كانوا يتناولون مواد منبهة ،

منها الحشيش الذى كان يتيح لهم البقاء فى حالة تيقظ ، ويمكنهم من الاضطلاع بالشعائر الدينية فى نفس الوقت . والثابت هو ان كثيرين من اتباع تلك الطريقة اصبحوا مؤيدين لها ابتداء من الربع الثالث من القرن الخامس عشر . وعلى وجه الاخص ، فى اليمن . وقد اتضح كذلك ان القهوة لم تلبث ان اصبحت جزءا متما لاحتفالاتهم التى يطلقون عليها اسم « الذكر » ، فان الشيخ يوزع القهوة على المشتركين اثناء إنشادهم ، ويصبها لهم طبقا لعادة ثابتة تماما . وابن الغفار يؤكد ذلك فيقول ان اوائل الذين تعودوا عليها كانوا من المتسولين المهتمين باجتماعاتهم الذكرية وبالصلاة ، لوجه الله . طبقا لطريقتهم السابق ذكرها .

ولكى يتحقق الجزيرى من صحة هذه الممارسة ، لجأ إلى رجل من مشاهير رجال القانون ، ووقور بحكم سنه ولا يمكن الشك فى حكمه . واجابه القاضى الحكيم بقوله : سالت جماعة من قدامى الاهالى ببلدتنا ، وعمى بالذات اكبرهم سنا ، ورجل قانون ويدعى وجيه الدين عبد الرحمن بن ابراهيم العلوى ، ويبلغ من العمر تسعين عاما . وقد قال لى : كنت موجودا فى مدينة عدن عندما اقبل صوفى فقير ، يصنع ويشرب القهوة ، وقد اجاد إعدادها لرجلين من رجال الدين ، وشرب هذان الرجلان تلك القهوة مع اشخاص آخرين ، اقتدوا بهما بعد أن اطمأنوا إليهما بما فيه الكفاية . وتساءل الجزيرى إذا كان ذلك الصوفى الذى قام بتلك الحركة التمهيدية الموجهة التى كان لها معناها الكبير لدى تابعى الصوفية هو النبهانى بالذات أم أنه صوفى آخر . ولكن الثابت لديه انما هو دور ذلك الصوفى فى طقوس هؤلاء المشغوفين بالحب الإلهى ، وهو يعزو إلى القهوة شرعية دينية تؤكدها أبوة رائد كالنبهانى . واستطاع المؤلف الشهير كاتب صليبي أن يلاحظ عادات هؤلاء الصوفيين ، وقد سجل فى مذكراته ان بعض الشيوخ الذين يعيشون فى جبال اليمن ، مع دراويشهم ، كانوا معتادين على مضغ واكل حبوب البن ، وكانوا يدعونها « قلب وابون » وهم يعنون شجرة بالذات .

ولما كان الصوفيون لا يعيشون في صوامع ، ويحيون حياة
تشرّد فلم يلبثوا أن اشركوا في حبهم لذلك المشروب كل مكان يمرون
به . وفي القرن السادس عشر يقول فخر الدين بن أبى يزيد المكي
« وبالنسبة لنا نحن ، كان القشر يأتينا إلى ربي ومكة وبلاد أخرى
منذ عشرين سنة أو أكثر (...) ولم ينتشر قبل نهاية القرن التاسع
من الهجرة .

□ □ □



● فلاحون بضواحي غزة يعدون القهوة

● العلماء :



تحتسى القهوة فى الأحياء
اليمنية بالقاهرة منذ بداية القرن
السادس عشر . والجزيرى ،
المعروف بمبالغته الفائقة فى الدقة ،
يروى بالتفصيل الطريقة التى يعالج
بها الأهالى القهوة : تناول الناس
الكثير من القهوة فى حى الجامع ،
وكانت تباع علانية فى أماكن كثيرة .
ورغم المدة الطويلة التى قدمت فيها
القهوة : فلم يخطر لأحد إزعاج
شاربيها ، ولم يجد أحد عيبا فى
المشروب نفسه أو فى المتعاملين
معه ، بحكم اشتراكهم فيه . ولكنها
انتقدت بسبب عوامل أخرى خارجة
عنها كتمير الفئان وغير ذلك . وكل
ذلك رغم انتشارها فى مكة أيضا ورغم
أنها كانت تحتسى فى الحرم المقدس
بحيث أنه لم يكن هناك ذكر واحد
أو احتفال بمولد الرسول إلا وكانت
القهوة موجودة .

● مقهى فى شرفة بالقدس

ويشير الجزيرى هنا إلى حادث وقع فى سنة ٩١٧ هجرية ،
الموافقة لسنة ١٥١١ ميلادية ، وهو أول تحریم لتناول القهوة ،
إن يقال أن باشا المماليك ، خيربك ، ذهب فى العشرين من يونية إلى
الكعبة ، لكى يؤدى الفريضة ، ورأى فى الظل جماعة صغيرة من
الرجال مجتمعين حول فانوس أسرعوا بإطفائه عندما سمعوه
يقرب . ولكن الوقت كان قد أتاح له مع ذلك أن يرى أنهم كانوا
يتناولون مشروبا (بطريقة الشاربين الذين يتعاطون مخدرا)

وتولته الحيرة ، وانتهى به الأمر إلى الإحساس بالقلق إزاء هذا التصرف . ولا يلبث أن يعلم أن ذلك المشروب الغامض يعرف باسم القهوة . وان هناك عادة في تناولها في أماكن مختلفة .. كالحانات ، حيث تقع أمور محظورة . ويستدعى في صباح اليوم التالي بعض العلماء ، أى بعض الفقهاء في الدين لمناقشة الأمر . والمعروف أن خيربك محتسب ، ومن مهام المحتسب التفتيش على السوق العام والاهتمام بالأمور التجارية ، والعمل كذلك على حفظ النظام والآداب العامة . وفي الاجتماع ، ولم يكن في حقيقة الأمر غير هيئة محكمة ، جرى بإناء كبير مملوء بالقهوة . وقليل من الحجاج يمكن تقديمها ضد المشروب نفسه ، فان كل نبات انما هو من خلق الله ، وكل مأكول على الرحب والسعة مالم يثبت ضرره لصحة الإنسان . ولتحريم تناولها فمن الأوفق اللجوء إلى الأطباء ، وطولب اثنان منهم الإدلاء بشهادتهما ، فصرحا بأن القهوة من طبيعة باردة وجافة وأنه يتضح من ذلك أنها تضر صاحب الطبع المعتدل . وحاول بعضهم أن يحتج قائلًا ان اطباء آخرين امتدحوا فوائدها الصحية ، (فهي علاج للبلغميين) ولكنهم لم يصغوا إليهم على الإطلاق ، وقرروا منع القهوة . بيد ان القهوة لم تكن هي المستهدفة بقدر استهداف الصوفيين الذين يعيشون بكامل إرادتهم على هامش المجتمع . حيثيات المحاكمة لم تطرق هذا الموضوع . ومهما يكن فقد كانت هناك رغبة في معاقبة تلك الطائفة الصوفية بحملتهم على مادة اساسية وجديدة في طقوسها .

★ ★ ★

وهكذا اعلن خيربك في مكة أن بيع البن وتناول القهوة محظوران ، وان المخالفين سوف يعاقبون . وأحرقت اكياس من البن في شوارع المدينة المقدسة . والذين قد يجروئون بعد ذلك على بيعه او الاستمرار في شرب القهوة سيجلدون علنا . على أن هذا القرار لم يعمل به إلا فترة من الوقت ، فسرعان ما تناساه الناس وغاد كل شيء كما كان .

ووقع حادث جديد فى مكة بين سنتى ١٥٢٥ و ١٥٢٧ ، فقد اقبل إلى المدينة المقدسة رجل كبير من رجال القانون واقام بها . وعلم بالحياة السيئة التى تدور فى المقاهى وأصر على غلقها . وكان ذلك الرجل قد حكم على امرأة فى المدينة قبل ذلك بسنة وأصدر قرارا بأن لا تستمر فى تجارتها لأنها كانت تبيع القهوة وهى سافرة الوجه . وبذلك الحكم يكون قد أَرْضَى أخلاقياته القاسية . والمقاهى السيئة يجب أن تغلق أبوابها . ويمر عام ويموت رجل القانون الصارم ، وتتحلل المقاهى من الغلق والحرمان .

وصدرت فتوى فى القاهرة كذلك حوالى سنة ١٥٢٠ ، ثم دوهمت بعض المقاهى فى سنة ١٥٣١ أو ١٥٣٥ ، وطرد روادها وأسىء معاملتهم . وتولى أحد القضاة القضية ، ولكنه لم يلبث أن انضم إلى رأى أنصار القهوة ، ولكى يحظى بتأييد أعضاء المجلس قدم لكل منهم فنجانا من القهوة ، لكى يثأكد إذا كان قد صدر منهم أية اعراض للجنون ، واضطر الجميع طبعاً إلى تبني رايه . ولكن الأمور لم تبق عند هذا الحد ، ففي أيام رمضان من سنة ١٥٣٩ ، دهم حارس ليلى مقهى من أكثر المقاهى شغبية ، وأمر بتقييد الكثيرين من روادها ووضع الحديد فى أقدامهم ليكونوا عبرة لغيرهم .

ومع ذلك فلم تحرم القهوة بصورة جدية ، فالقرآن الكريم لم يذكر شيئاً عنها ، وهو لا يحرم إلا الخمر وأنواع أخرى من المشروبات التى تتسبب فى السكر . ومن العسير اعتبارالقهوة مشروباً غير مرغوب فيه . وقد حاول البعض مرارا كثيرة أن يضمها إلى المستحضرات التى تتسبب فى السكر والضرر ، كالحشيش مثلا . وأبدى كاتب مجهول سخطه لمثل هذا الادعاء وقال : من المستحيل أن يعلن رجل مسلم أن القهوة تحدث فى نفس شاربها ، حتى ولو بكميات كبيرة ، نفس التأثير الذى يحدثه تناول الخمر او الحشيش ، وأنها تضع على العقل غشاوة وتتسبب فى تغيرات فى متعاطيها إلى حد القول انه سكران . والذى يؤكد أن شرب

القهوة يجعل شاربها في نفس الحالة ، أو في حالة قريبة من تلك التي يشعر بها من يشرب أو يتعاطى أشياء أخرى فإنه يذنب باقتراء « كذبة كبيرة » ، وهو ليس الوحيد الذي يقوم بمثل تلك الحملة ، لأن هناك نقدا صاحبها هو الآخر غير معروف . يُدحض الاتهامات التي نسبت إلى « القهوة » ، فإن القهوة إذا قورنت بالمشروبات الضارة بالصحة فإنها لتكون مقارنة خاطئة لأنه ثبت بوضوح تام عكس ذلك حقا ، وذلك بسبب طبيعتها وتأثيرها ، فالمرء يشرب القهوة وهو ييسم باسم الله ويبقى متنبها في حين أن الأشخاص الذين يبحثون عن المتعة الخطرة لا ينطقون باسم الله ويسكرون .

ويذكر الناس أحيانا ، دون شك ، النشاط الذي يكسب شاربها نشاطا ومرحا وإحساسا بحالة ذهنية صافية . وهناك أذهان كئيبة تتحسر على تناولها وتعتبرها نحسا وضررا ، ومازال اعداء القهوة كثيرون ، يستنكرون شربها ويخشون الإسراف فيه . والقرارات الطبية التي تبين ضررها تتتابع ، ففي القرن السادس عشر ، يقول محمد بن محمود الزيني الحسيني إن شابا كان يشكو من الانقباض والفتور استقر عزمه على دراسة العلوم ، وأصبح طبيبا . وبعد أن قام بتجارب عديدة ، اكتشف أن إسرافه في تناول القهوة هو السبب في آلامه ، وتكشف الدراسات عن طبعه البارد الجاف ، ومعنى ذلك أن المرء الذي يشعر بالانقباض ، وتهيمن عليه السوداء تزيد القهوة حالته تفاقمًا . وينصح المؤلف كاتب صليبي الأشخاص الذين يعانون من طبيعة سوداوية بعدم الإسراف في تناول القهوة لأنها تعرضهم إلى مزيد من الأرق والاكتئاب . ويشاركه في هذا الرأي الانطاكى ، فهو خبير وحجة في هذه الناحية ، ويقول أن القهوة مضرة لكل امرئ عنده ميول للكآبة والسوداء .

★ ★ ★

. ويبدو أن هذه الدراسات قد أحدثت تأثيرها على الكتاب الأوروبيين في القرن السابع عشر ، وكان لها ثقلها الخاص على الأبحاث الأكاديمية التي تحيط بظهور القهوة في فينيسيا ومارسيليا

وباريس او لندن . ففي مجلة هستوريا يقول فرانسيس بيكون في مقاله « احياء واموات » ان القهوة بالنسبة للأتراك تهيج وتبلبل « العقل » ويروى الغربيون آراء مناظريهم في البحر الأبيض المتوسط بالنص فيقولون انها تفقد الشهية . ويمكن ان تتسبب في الضعف وشل الرغبة في النشاط الجنسي ، إلخ .. وقد تتسبب في أمراض لا تحصى ، من البواسير إلى الصداعات المزمنة ، وحتى الجزام عندما يمزجونها باللبن .



● فنان ينقش ابريقا



● مدخن نرجيلة ببغداد



ولا يوجد غير قلة من الأطباء الذين يجدون لها مزايا ، فهم يعتقدون أن لها تأثيرات مفيدة ضد السعال والبرد والام الكلى وغيرها . ويقول سيرهنرى بلونت الذى أبحر إلى الشرق فى أواسط القرن السابع عشر ان الأتراك والعرب يستخدمون القهوة فى اغراض طبية ، وعلى الأخص فى علاج الحصوة والنقرس . وعندما يقع احد الأتراك فريسة للمرض فانه يسارع بتناول القهوة ، فام لم تات بنتيجة فانه

يكتب وصيته ولا يفكر فى شيء • مدفاة فى قهوة بسكونارى آخر .
لوحة من رسم ك. روجر

وعندما اجتاز ليونستار راوول اسيا الصغرى ما بين سنة ١٥٧٣ وسنة ١٥٧٨ ، مارا من قارس إلى سوريا ، وهو طبيب من مدينة اوجستا يهتم عن كُتب بالشعوب التى اُدمنت عادة الكافيين السيئة ، قال : ومن بين ما يتناولونه مشروب جيد يقدرونه نوعا ما ويسمونه « شوب » ، وهو اسود كالخبر ، ومفيد جدا فى معالجة بعض الاضطرابات ، وعلى الأخص اضطرابات المعدة . ومن عادة الناس تناوله فى الصباح ، وخارج البيوت دون أية خشية أو خوف ، ويحتسونه فى فناجين صغيرة عميقة من الصينى وساخن إلى حد لا يطلق . ويجتمعون فى جماعات أحيانا ويجلسون فى دائرة ويحتسونه فى جرعات كبيرة ، ممررين الفنجان من واحد إلى آخر . ولإعداده يضعون فى الماء ثمارا يسمونها « بن » وهى أشبه من الخارج ، بلونها وحجمها حبوب الغار ، ومغطاة بقشرتين رقيقتين . وهذا المشروب شائع جدا بينهم لانه يباع فى حوانيت عديدة ، ويمارسون تجارة رائجة بالحبوب التى يصنع منها ، كما يمكن ان ترى فى كل مكان وانت تتجول فى السوق .

وبعد ذلك بنصف قرن تقريبا ، أثبت توماس هيبيرت فى كتابه
 « رحلة إلى فارس » الذى صدر فى سنة ١٦٢٦ ، ان القهوة يبدو انها
 احتلت مكانها تماما فى البلاد الإسلامية ، رغم ان قصته أوحى بان
 رأيه ذلك لم يكن جماعيا ، ان الفرس لا يحبون شيئا فى الدنيا حبهم
 « للكوهو » ، أو الكوفا ، التى يسميها الأتراك « قهوة » . وهذا
 المشروب يبدو أنه وفد من ستيكس^(١) لأنه اسود جدا وكثيف ومر
 (...) ويشرب ساخنا . ويبدو صحيا ويطرد الكابة ويجفف الدموع
 ويهدئ الغضب ويولد أحاسيس رقيقة .

★ ★ ★

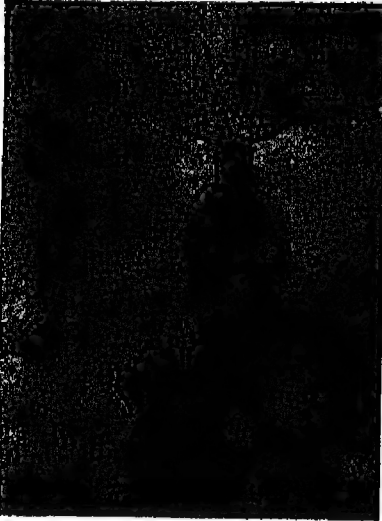
ومنذ الوقت الذى راح أنصار الصوفية يشربون القهوة كل يوم :
 اثنين وكل يوم جمعة ، بعد ان يصبوها فى إناء كبير من الفخار
 الأحمر ، يديرونه إلى اليمين وهم ينشدون ويرتلون ، والمناقشة فى
 فوائد واضرار « الأبولون الأسود » تدور طويلا ، ولم تتوقف إلا بعد
 ذلك بكثير . وانتصاره لم يتم إلا بعد ان دخل أكبر البيوتات
 الأوروبية ، وأكثر البيوت تواضعا فى الامبراطورية العثمانية .

□ □ □

(١) اسم نهر بالقليم اريكاريا ببلاد الإغريق ومشهور بمياهه السوداء السامة التى يقال انها
 تتغلغل داخل الأرض وتجول حول الجحيم وتهيم على شواطئه أرواح الموتى الذين
 لم يواروا فى التراب .

● انتشار القهوة :

تأثر جان دي لاروك فى صفحات كتابه « رحلة إلى الجزيرة العربية السعودية » الذى ظهر فى سنة ١٧٩٦ ، باهمية تجارة البن « فهو يشتري فى تبلفاجى لكل تركيا . وتجارها ياتون إلى تلك المدينة لهذا الغرض ، وينقلون كمية كبيرة منه على ظهر الجمال . وكل جمل يحمل جوالين زنة كل منهما ٢٧٠ رطلا ، وذلك حتى ميناء صغير بالبحر الأحمر (...) ، ومنها يشحنونه على سفن صغيرة تنقله إلى أبعد من ذلك بستين فرسخا ، حتى خليج ميناء آخر أكثر أهمية : جدة أو زيدن ، ميناء مكة . ومن ذلك الميناء يعاد شحنه ثانية على مراكب تركية تمضى به حتى السويس ، وهى آخر ميناء بالبحر الأحمر ، ثم يعاد نقله مرة اخرى على الجمال وينقل إلى مصر وإلى قرى الامبراطورية التركية الاخرى ، بواسطة القوافل المختلفة أو عبر البحر الأبيض المتوسط .



وهذه الرواية تؤكد إلى أى حد أصبحت تجارة هذه السلعة هامة وان الشك الذى يحيط بتوغلها قد نسى تماما ، فلم تعد القهوة عادة متاصلة فحسب وانما أصبحت مشهورة أيضا ، كما لو انها هبة من العناية الالهية . والشاعر العربى عبد القادر يمتدحها فى سرور وغبطة فيقول ما معناه : « ايتها القهوة ، انك تنشرين خيراتك وانك لشراب احباب الله ، تمنحين الصحة للذين يكدون لمعرفة الحكمة » .

● قهوجى متجول - مصر

والرجل الصالح الذى يشرب القهوة هو وحده الذى يعرف الحقيقة ، فالقهوة محبوبتنا ، واينما تقدم يستمتع المرء بصحبة خيرة الرجال . ولبت الله لا يتيح لهؤلاء الاقترائين المتعنتين شربها على الإطلاق » . وعلى غرارہ يتخذ الكاتب التركى بليغى لهجة شاعرية لكى يمتدح خيراتها « ونحن نجتمع فى دمشق وحلب ، وفى العاصمة ، القاهرة ، فى دائرة ، فى مرج كبير .. حبوب البن .. العطر الشذى .. قبل ان ندخل السراى ، على شاطئ البوسفور ، كانت قد سحرت الاطباء ولفقها .. وكان لها انصارها وشهادؤها ، ولكنها ، وبالسعدتنا ، انتصرت .



ومضى فليكن قافرى ، أحد الرحالة الإيطاليين ، إلى القاهرة فى آخر القرن الخامس عشر ، ولاحظ وجود باعة متجولين يحملون مواقد فوق رأسهم ، ويعدون ويقدمون القهوة للمارة . ومن المحتمل جدا ان القهوة قدمت فى البداية ، فى الأسواق الكبيرة ، فان مطبخا صغيرا متنقلا يكفى لإعدادها ، وكما لا يزال ذلك يدور فى ايماننا فانهم يقدمونها لزيائنهم على صينية ، وهؤلاء الزبائن لا يغادرون محلاتهم او اماكن معاملاتهم التجارية .

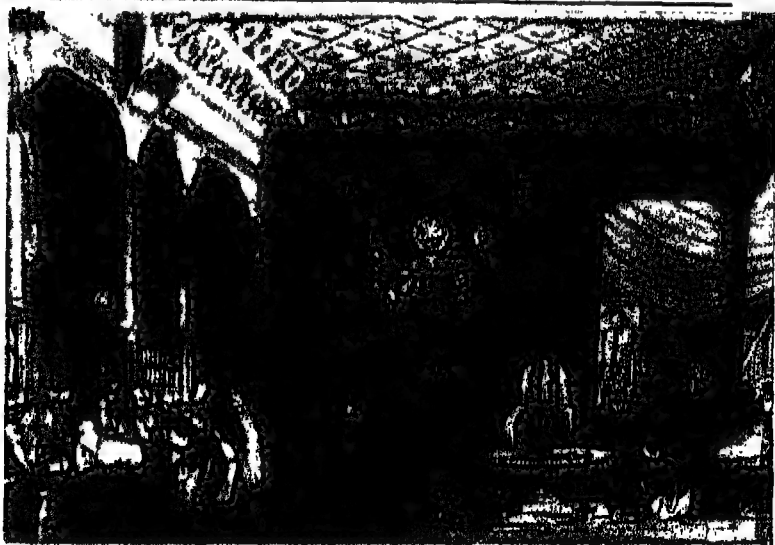
● بائع قهوة وتنبك متجول بالقسطنطينية

ومع مرور الوقت اقيم المطبخ فى محل صغير ، فى مكان منعزل ، بحيث لا يتحرك ، يحتفظ فيه بمكان للمستهلكين الذين يجلسون فوق مسطبة امام المحل ، او عندما يكون المحل متسعا بما فيه الكفاية ، ففوق دكة توضع فى الداخل . وفى خلال القرن السادس عشر ، اقيمت انواع كثيرة من الامكن العامة ، واولئ هذه المحلات تحتفظ

بالمظهر البدائي لمكان مخصص بالذات لإعداد المشروب لحي
او لمركز أعمال تجارية او غيرها . والأخرى تحولت إلى أماكن لها
طابع شاعري . وجان دي تيفينو يذكر في كتابه « تابع رحلة إلى
الشرق » ان جميع مقاهي دمشق رائعة : كثير من النافورات ، بجوار
الشاطيء ، مناطق ظليلة ، وورود وأزهار . وهي أماكن منعشة
وممتعة . وكتب المغامر بدرونكسيرا البرتغالي الذي أقام في بغداد
في أوائل القرن السادس عشر ان القهوة تباع في أماكن عامة شيدت
لهذا الغرض . وذلك المحل يقع على مقربة من النهر ، وبه نوافذ
كثيرة ، ورواقان يجعلان منه مكانا ممتعا جدا . ويتكلم جان شاردان
عن نوع تلك المحلات بالذات في كتابه « رحلة إلى فارس » بما أننى
لم أتكلم عن البيوت التى يمضى إليها الناس لشرب القهوة في فارس
فسوف أصفها الآن . انها قاعات كبيرة رحبة ومرتفعة ، مختلفة
الأشكال ، وهى فى العادة أحسن الأماكن بالمدينة لأنها موعده
لقاءات ، وأماكن لهو للأهالى . هناك الكثير منها ، ترى فيها أحواضا
مائية فى وسطها ، وخصوصا فى المدن الكبيرة . وتلك القاعات
تحيط بها منصات أو دهاليز مرتفعة بنحو ثلاثة أقدام وعميقة بنحو
ثلاثة أو أربعة أقدام تقريبا ، حسب سعة المكان أو هيكله البنائى ،
وذلك للجلوس فوقها على الطريقة الشرقية ، وتفتح للمرتادين
بمجرد طلوع النهار ، وتزدحم بكثير منهم فى نحو المساء ، حيث
يحتسون القهوة المعدة بكل إتقان ، وبأسرع ما يكون ، وباحترام
كبير .

★ ★ ★

والغالبية من مقاهى البحر الابيض المتوسط لا تملك طبعا هذه
 الابهة والعظمة إلا فيما ندر ، فهي ماتزال محلات متواضعة ، مجهزة
 بطريقة بسيطة جدا ، كالمقهى التى وصفها الكسندر هيب فى كتابه
 « دقائق من الشر » فهو يقول : « لا ذهب ولا قطيفة حمراء ، ولكن فى
 كل خطوة تقريبا محل منخفض ، ابيض الجدران ، وحصيرة مفروشة
 فوق الأرض ، وموقد ، وازيكة مستديرة مبقعة ومنبجعة لفرط
 الجلوس عليها القرفصاء . وهذا كل شىء . واحيانا قطعة مربعة من
 القماش الأصفر يبدأ احد طرفيها من المحل وينتهى طرفها الآخر فى
 شجرة او فى احد البيوت المواجهة بالزقاق ، بحيث تبدو كالخيمة ،
 وتحتها مقاعد فوق البلاط الاسود المشقق كالصخور الواقعة على
 شاطئ البحر » . ونفس هذا الوصف يؤكد أندريه رايمون عندما
 يكتب عن القاهرة « اغلب المقاهى كانت محلات متواضعة جدا ،
 لا يزيد اثاثها عن بضع حصائر او سجادات مفروشة فوق دك
 خشبية ، وبك ، وفناجين من الصينى بالطبع ، وكل الادوات اللازمة
 لإعداد القهوة .



ولمقاهى الامبراطورية العثمانية ، بدءا من شواطئ البوسفور حتى مدينة قرطاجنة القديمة سمات عديدة مشتركة ، فعندما نقرا مقالا لمقال تميزيه الذى يتكلم فيه عن مقاهى جدة ، فان المشاهد التى يصفها يمكن أن توصف بها آلاف وآلاف المقاهى مع بعض الفوارق تقريبا ، فانت ترى بطول البازار مقاهى عديدة يجتمع فيها المواطنون والأجانب وهذه الأماكن العامة مقامة تحت اسقف طويلة مبنية على هيئة العشش وفى آخرها ، فى كانون كبير ، تشتعل نار مستمرة يغذيها فحم الخشب وتستخدم فى إعداد القهوة وإشعال الخليون أو الترجيلة ، والشيش بلياتها مصفوفة بترتيب بجوار الموقد ، ورائك من أغصان الأشجار مجهزة بطريقة خشنة ومكسوة بقمش سميك ، فى الداخل اثناء النهار ، ولكنها تنقل إلى الخارج فى المساء . وهناك يجلس العاطلون ويقدمون فيها القهوة من غير سكر . ولكنها معطرة بالقرفة والقرنفل والجنزبيل .

★ ★ ★

ومع الوقت ووطاة التقاليد ، تحررت المقهى « الشرقية » من صورتها الأولى ، ورسمت بسمة الثقافة الإسلامية بمختلف أنواعها . وهذا المستند للقرن التاسع عشر تقريبا يقع خارج الزمن ، وهذه الصورة التى يعيدها إلينا يمكن أن يتأملها شاردان خيرا من لوتى ، إذا غرضنا النظر عن نقاط تافهة لا تغير شيئا فى مجمل الأمر .

□ □ □



● مقهى عربية - القاهرة



● مدخنون امام باب مقهى سالونيك

● مقهى بدوية بحلب



● ثرثرة حول فنجان قهوة :

تقبل الشرق القهوة بصفة عامة في فجر القرن
السابع عشر ، وليس هناك أية طبقة لا تتناولها ،
ولا أية مدينة لا تعرفها .

والقرن السابع عشر هو أيضا العصر الذي
بدأت فيه جذورها تتأصل في مدن أوروبا ، رغم
المقاومات الشرسة لأكاديميات الطب التي أجمعت
في اعتراضاتها على ذلك المنتج الأجنبي الذي لا ينتمي إلى دستور
الأدوية (الفارماكوبيا) ، وكان لابد من عشرات السنين لكي يتحول
عداء الصيادلة والأطباء إلى عطف أكثر ، ومن عظمة السفير ، الأغا
مصطفى راکا ، المبعوث فوق العادة للسلطان محمد الرابع قبل
لويس الرابع عشر لكي يجد ما يدعونه « موکا » قبولا في البلاط ،

ونتيجة لذلك في فرنسا كلها ، وكما هي العادة دائما ، في كل الدول وكل الإمارات وكل دوقيات الغرب .

أحاطت طقوس كثيرة بعد ذلك بلذة الكافيين ، في أعلى دوائر السلطة ، وبكل وضوح في قصر توبكابي ، حيث يتربع على العرش ذلك الذي يتحكم في الباب العالي ، وتكتب ليلى حنون في مذكراتها الطريقة التي تقدم بها القهوة للسلطان « انها تأتي جاهزة تماما في تنكة من الذهب ، مغطاة ، وتوضع فوق رماد ساخن موجود في حوض صغير من الذهب ، معلق في أسفله بثلاث سلاسل تجتمع في أعلاه ، وتمسكه إحدى الخدم ، وتأتي خادمتان أخريان بصينية من الذهب عليها فناجين صغيرة للقهوة من الخزف السكسوني الثمين أو من الصيني ، وصحون صغيرة من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة . وتمسك هاتان الفتاتان في نفس الوقت ، مع الصينية ، بمفرش من الحرير أو القطيفة ، مطرز بالذهب واللؤلؤ والأحجار الثمينة ، في وسطه زخرفة من الماس ، وبحوافه شرايات من الذهب ، وإحدى اطرافه مثنى برقة منناحية . وتمسك كل من الفتاتين أحد طرفيه في كف يدها ، وهي تمسك في نفس الوقت بالصينية ، وقد أحاط المفرش بحافتها التي تميل من هذه الناحية إلى أسفل . وتأخذ السيدة الأولى للقهوة صحنا من فوق الصينية ، وتضع فوقه في عناية فائقة فناجنا ، ثم بقطعة صغيرة من القماش المبطن ، موجودة هي الأخرى فوق الصينية ، تمسك بيد التنكة وتصب القهوة . وتمسك عندئذ في رقة بالغة طرف الصحن من ناحيته السفلى ، بحيث يستقر على طرف سبابتها ويرتكز على طرف الإبهام ، وتقدمه إلى السلطان في حركة كلها رقة وفن .

★ ★ ★

ورغم ذلك البذخ وتلك الرقة ، ورغم هذا العرض من العظمة والأبهة ، وتلك الرسميات الخطيرة ، فإن الأماكن العامة التي تباع فيها القهوة لا تحظى بالضرورة بسمعة طيبة . ويشير رالفس . هاتوكس بأن تشابها مع الحانات التي سبقتها ، والمفردة لغير

المؤمنين يجعلها غامضة ، فتلك الحانات تتمتع بسمعة سيئة ، لأنه لا يمكن إلا أن تكون فاسقة بسبب تجارة الخمر المحرمة على المسلمين . ولأنها تعتبر كذلك أوكارا للبغاء والشذوذ الجنسي . على أن هذا التفسير غير كاف فإن الشائعات تدور بأن المقاهي هي الأخرى أماكن للفسق ، ففي بغداد ، في بداية القرن السادس عشر يقدم القهوة للزبائن غلمان على قدر كبير من الجمال ويرتدون ثيابا غالية . وقد صدم جورج سانديس في شعوره من ممارسة الشذوذ الجنسي بين الرجال في الأماكن السيئة في استانبول ، حيث يحرص أصحاب المقاهي على استخدام صبية يتمتعون بالحسن والوسامة لكي تكون طعما لاجتذاب الزبائن . ومع ذلك ، فلا تبدو هذه الأخلاقيات المنحلة قاعدة عامة ، فإن القاضي الإقطاعي البندقي جيانفرا نثيسكو موروزيني لم يجد في مذكراته التي كتبها في سنة ١٥٨٩ تقديرا كبيرا نحو المقاهي التي زارها . بل والأكثر من ذلك ، نحو الرجال الذين يرتادونها « كل أولئك الناس من طبقة منخفضة ، أخلاقهم غير حميدة ، وعلى قليل من المهارة ، بحيث أنهم يقضون أكثر أوقات فراغهم غارقين في البطالة ، والجلوس باستمرار ، واعتادوا الترفيه عن أنفسهم بأن يشربوا علانية ، في المحلات والشوارع مشربا أسود يغلى إلى الدرجة التي يطبقونها من حبة يسمونها « بن » .. ويقول دوفور في مذكراته : « أبحاث جديدة » الذي صدر في القرن الثامن عشر أنه لاحظ أنه لا يمكن لشيء جليل وسام أن يقع في مثل تلك الأماكن السيئة التي يرتادها الناس . وينتاب دوهسون نفس الإحساس ، بل أنه يقول أن المقاهي كانت قبل قرنين من ذلك ملتقى البكوات والضباط النبلاء والقضاة ورجال آخرين من رجال القانون ، وكاتب صليبي ليس أكثر تسامحا ، وينظر إلى زبائن المقاهي كطبقة بعيدة عن الأدب والرقية . ويزيد فيقول أن الأشخاص الذين يرتادونها « من الأمير إلى الفقير » يتسلون بتعذيب كل منهم للآخر .

وهو واثق أن المقاهي ما هي إلا بؤر تختلف إليها أنواع كثيرة من الناس لا يتزارون عادة . ويخضعون لطبقة لا عيب فيها

ويتجالسون . ويقول تيفينو « إن أناسا من كل الأنواع يختلفون إلى تلك الأماكن دون تفرقة للدين أو للوضع الاجتماعي ، وليس هناك من لا يمضى إليها للتسلية والترفيه ، وكثير من الناس يجتمعون بها لا لشيء إلا للثُرَّة » وما يسرى على استانبول يسرى على بغداد ، كما يخبرنا بدروتكسيرا بذلك . « هناك يمضى إليها كل رجل يريد أن يشرب قهوة ، سواء كان عظيما أو متواضعا .

ويأتينا الاسحاقى ، المؤلف المصرى بقصة تنويرية ، فيقول ان الناس لا ينظرون إلى المقاهى نظرة سيئة بطريقة قياسية ، فهي تعيد إلى الأذهان صورة أحمد باشا ، حاكم مصر فى آخر القرن السادس عشر ، الذى استطاع أن يعلى نفوذه بين رجال الدين والشعب بأن انشأ بين ما انشأ مقاهى فى بولاق وفى حى الرشيد . ولكن مثل ذلك العمل الخيرى يبقى استثناء عجيبا .

والنشاط الذى يدور فى المقاهى لا يدور لرفع شأنها ، فاللعب منتشر فيها : الشطرنج والطاولة ، والمنقلة ، وهذه الأخيرة لعبة قديمة تعرف أيضا باسم الـ ١٤ . وكل تلك الألعاب تحظى برواج كبير ، فى حين ان لعبة الورق والزهر غير معروفتين .

ويحدث ، لكى تنتظم الأمور ، أن تكون ماوى لمدمنى المخدرات ، ورايمون يتكلم عن مشروبات مكونة من العسل والحشيش ، فى بعض أماكن القاهرة ، ومتعاطو الأفيون تبذوها ، ويروق لهم أن يتابعوا فيها خيط أحلامهم .

ورواد المقهى يقنعون لحسن الحظ بمعبودتهم السوداء ، وبالتنبك الذى يدخلونه بواسطة غليون طويل أو نرجيلة كبيرة ، ومتعتهم العادية ، أكثر من غيرها ، هى الحديث ، فالثرثرة هى الرذيلة الوحيدة التى يشجعونها ، على أن ذلك لا يكسبهم سمعة طيبة ، فإن الجزيرى يشكو من أن الممارسة الرسمية للصوفيين تستبدل بدعابات غير مستحبة ، وبمشاركة فى إثارة المشاعر بالحكايات المسلية . وتمر السنون ، ويزدري دوفور أولئك الرجال الذين يتجمعون ويشفون غليلهم بالذات بأحاديث غامضة ، عن لا شيء بالذات ، أو بحكايات ماجنة مضحكة . وقسيس عصر الملكة .

اليزابيث حزين لأنه لا يسمع غير أحاديث فراغ وخمور في مقاهي حلب . أما دوهسون فهو مشمئز من هؤلاء الشبان العاطلين الذين يقضون في المقاهي ساعات يدخنون ويلعبون الضامة أو الشطرنج وهم يناقشون مشاكل اليوم . ثم هناك ، أخيرا ، الذين يكشفون سلوك أصحاب العمل الذين يفيضون حقا في الأكاذيب والافتراءات والكذب ويثيرون الشكوك حول سمعة النساء العفيفات ، وما يروونه أحيانا انما من اشد الافتراءات هولا أحيانا ، وليس له ذرة واحدة من الحقيقة .

والدين ليس غائبا ، هو الآخر ، عن المقاهي . ولاحظنيوبهور أن فقهاء وشيوخا فقراء يرفهون عن الزبائن بالدعاء لهم ، وبالقصص التي يتخللها الوعظ والإرشاد تقريبا . وقد تصادف أن النقي في حلب ، في يوم جميل ، برجل ثري كان يخطب في المجتمعين لرفع معنوياتهم الروحية .. والواقع ان الناس ينظرون إلى أولئك المتدينين الذين اهتدوا حديثا ، وإلى الخطباء الانقياء نظرتهم إلى مثيرين للفتن ، يجب الحذر منهم كل الحذر . حذرهم من المتأمرين والمعرضين الذين يجتمعون في المقاهي ويزعجون السلطات . وينسب دوهسون إغلاق المقاهي الحازم في استانبول إلى أسباب سياسية ، فقد اقتنع أنها أصبحت في عهد مراد الرابع أماكن لقاء لأشخاص وجنود متمردين . وهذا الوصف لم يبعد عن الحقيقة أبدا مع مرور الأيام ، فإن حكومة محمد علي ، في قلب القرن التاسع عشر كانت شديدة القلق من أحاديث التمرد والعصيان في مقاهي القاهرة ، بحيث جندت جواسيس لكي تصغي للأحاديث التي تدور فيها .

وكما في باريس وروما ولندن والبندقية ، فإن مقاهي الشرق تمثل مراكز حرية التعبير فيها هي القاعدة .. وحيث يمكن للحرية أن تكون رخصة دنيئة أو مطمحا للمطلق والحق .



● فلاحان يلعبان الطاولة



● مقهى عربية في بغداد

قهوجى

والمقاهى مراكز لهو للأهالى أيضا . ويروى نيفينو انه على العموم « هناك كثيرون من عازفى الكمان ، وعازفى الناي ، ومن الموسيقيين الآخرين ، يستأجرهم صاحب المقهى للعزف والغناء اثناء فترة كبيرة من النهار ، وذلك على أمل اجتذاب الزبائن . والواقع ان مهنة الموسيقى فى المقاهى شائعة جدا عالميا ، فى كل بلاد الإسلام ، فشأتوبريان فى كتابه « رحلة باريس إلى اورشليم » لا يتمهل فى مقاهى القسطنطينية ، ولكنه يحرص مع ذلك على تدوين ما لفت نظره . « النغمات الحزينة الماندولين تخرج أحيانا من داخل مقهى . وترى غلمانا مقززين يقومون برقصات مخجلة أمام أنواع من القروء ، جالسين فى دائرة ، على مواثد صغيرة ، لأنهم يرقصون أحيانا فى كثير من هذه المقاهى . وهذه الحفلات الموسيقية الشعبية الراقصة المتكلفة تقريبا لا تساهم فى منح المقاهى شهادة طيبة بحسن الأخلاق ، فان فن الموسيقيين والمطربين والراقصين مرتبط على العكس بالفسق والفجور . والوصف العجيب الذى وصف به تيوفيل جوتييه حانة مشبوهة للبحارة فى استانبول يؤكد تلك الآراء القليلة المجاملة ، وذلك رغم غرابة الوصف « لاحظت على الأخص غلاما قويا ، أنيقا بعض الشيء فى ثيابه الرثة عن غيره من الغلمان ، ذراعاه عاريتان حتى كتفيه ، يبدو كما لو كان راقصا فى باليه فى سترته الطويلة الزرقاء ، وطربوشه الأحمر ، يمسك فى يده حقا من الريحان ، وفى الناحية اليسرى راقصة صغيرة بجونلة قصيرة ، وسعر من اللؤلؤ قد توقفت فى منتصف رقصة لكى تقبل وردة من مغازل »

★ ★ ★

وليس هناك ما يثير افتتان الرجال الطيبين غير الموسيقى عندما يريدون نسيان هموم الواقع . واكبر تسلية لهم هي الاستماع إلى القصص التي يرويها الرواة ، سواء بالتجويد أو بالإنشاد ، ويصغون إليها في اهتمام كبير . وفي الوقت الذي راح شاردان يمشي فيه في الشوارع غير الممهدة ببيزنطة القديمة ، حيث ترتفع المآذن ، كما لو كانت حرايا ، نحو السماء المكفهرة ، التقى بالطغمة التي تعيش في المقاهي التي عرفوه بها ، وشهد عروضاً أثارت حيرته ، بعيدة كل البعد عن كل ما شاهده في فرنسا .. هناك قصص شعرية أو نثرية يرويها شيوخ أو دراويش أو شعراء من كل نوع بالتناوب . وخطب الشيوخ أو الدراويش دروس أخلاقهم كمواظبتنا ، ولكن ليس من العيب إن لا تستمع إليها (...) يقف شيخ في وسط قهوة « كوهنيه » ويبدأ بإلقاء موعظته في صوت مرتفع ، وفجأة ، يدخل دراويش ويحاضر الموجودين في غرور الدنيا وخيراتها وامجادها . ويحدث أن يتكلم في المقهى رجلان في وقت واحد . أحدهما في أول المقهى والآخر في آخرها . وأحياناً يكون أحدهما واعظاً والثاني راوياً . وأخيراً ، تجد فيها أكبر حرية في العالم . والرجل العاقل لا يجرؤ أن يعلق بشيء لأى منهما ، فكل منهما يلقي بدلوه ، وليسمع من يشاء . وتنتهي الخطب عادة بعبارة « والآن وقد فرغت من موعظتي فامضوا باسم الله إلى أعمالكم .. وعادة يطلب الذين يلقون مثل تلك الخطب شيئاً من الحاضرين ، ولكنهم يطلبون ذلك بكل تواضع وبدون إلحاح أو إزعاج ، لأنهم إذا قاموا بعكس ذلك فإن صاحب المقهى لن يسمح لهم بدخولها بعد ذلك . ولهذا يعطيهم من يشاء إن يعطى .

ولكن الوعاظ والخطباء اختفوا من هذه الأماكن بالتدريج ، وعلى العكس . يحتفظ الرواد فيها بمكان أكثر امتيازاً . ويتوافد الناس إليها خصوصاً في أيام رمضان لسماع قصصهم ورواياتهم . ويجلس الرواة على مصطبة إذا كانت هناك واحدة ، ويجلس المستمعون إليهم على الدكة أو على مصاطب المحلات الأخرى المجاورة .

وهؤلاء الرواة إما طلبة يأتون أملا في ربح بضعة قروش ،
وإما رجال دين فقراء . والبعض أساتذة حقيقيون . ويؤكد
أوليا جلبي أنهم كونوا اتحادا لهم وأنهم يشتركون في المواكب
النقابية .

★ ★ ★



● مقهى نشاط موسيقى ، بالقدس

ويجتاز الشاب جان بوتوكى اليونان وتركيا ومصر ، وهو فى القسطنطينية فى سنة ١٧٨٤ ويرسل خطابا إلى امه يقول لها فيه : لم يعد امامى لكى أعرفك بملاهى الشعب التركى إلا أن أحتك عن المقاهى . أغلبها مبنى على شكل أكشاك ، يدخلها الهواء من كل النواحي ، وجوها بارد بصورة مذهلة . وهى ملتقى العاطلين من كل نوع (...) وأحد الرواة المحترفين يروى أحدث المغامرات وهو يلحنها بكل فنون الإلقاء الشرقى المنغم .

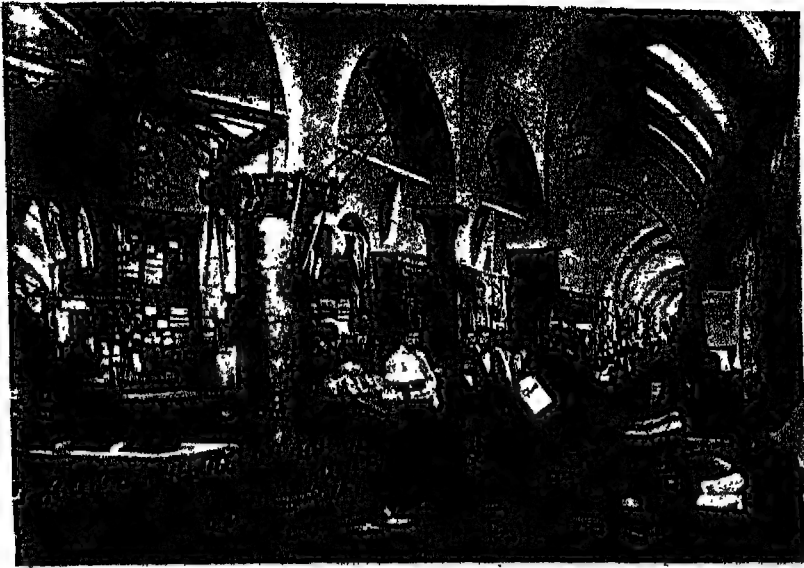
وبعد ذلك ببضع عشرات السنين ينقل لنا جيران دى نرفال نفس الإحساس وهو أمام أولئك الرواة الذين يمتعون الحاضرين المتلهفين على سماع أساطيرهم وأبطالهم . (لا يمكن إلا تقديم فكرة ضعيفة عن مسرات القسطنطينية أثناء سهرات رمضان وسحر لياليه إذا مررنا من الكرام ولم نتكلم عن القصص العجيبة التى يرويها بأصوات منخمة أو ينشدها رواة محترفون يعملون فى مقاهى استانبول (...) ويحسن أن نقول أن المقهى التى نتواجد فيها تقع فى الأحياء العمالية باستانبول (...) بحيث بدا لنا ، نحن رجال المجتمع ، أن الحاضرين من العامة بعض الشيء . ومع ذلك فقد لمحنا بعض الملابس الأنيقة ، هنا وهناك ، فوق المقاعد والدكك . وبدا أن الراوى الذى يجب أن نستمع إليه رجل مشهور ، فعلاوة على زبائن المقهى كان هناك جمع غفير من المستمعين العاديين متجمعين فى الخارج . وطولبنا بالصمت . وأقبل شاب شاحب الوجه ، رقيق الملامح ، مثالى العينين ، شعره طويل ، يتطاير كشعر الدمية من تحت طاقية لها شكل يختلف عن الطربوش ، وجلس فوق مقعد عال ، فى منتصف ساحة من أربعة إلى خمسة أقدام ، وجاءوا إليه بقهوة . وأصغى الجميع إليه فى اهتمام كبير ، لأن كل جزء من القصة ، طبقا للعادة ، يجب أن يدوم نصف ساعة . وهؤلاء الرواة المحترفون ليسوا شعراء ، ولكنهم يروون قصصهم وهم يعزفون على الربابة مختلف الألحان والأنغام . وقصصهم تدور دائما حول الملاحم القديمة . وهكذا نستمع إلى إضافات أو تغييرات

كثيرة فى مغامرات عنتره وابى زيد والمجنون . وذلك على غرار ملحمة « مخطوطة ساراجوسا » التى تروى إحدى القصص الساحرة طالما فتنت سامعيها .

وافتنن ببيزلوتى فى نهاية القرن ، بتلك المقاهى ، ماوى الكسالى والخياملين . حيث يحلمون ويستسلمون لأحلامهم الشاردة فى مقهى تركى صاحبه يدعى سليمان القهوجى ، « كان الناس جلوسا حول النار ، وعندما وصلت ، أنا وصمويل واحمد ، سلمت على كل الحاضرين باليد ، وجلست لكى استمع لراوى سهرات الشتاء (القصص الطويلة التى تستمر كل منها ثمانية أيام ، والتى ياتى فيها ذكر الجن والجنيات) وتمر الساعات دون تعب ، ودون ندم ، واجد نفسى مرتاحا بينهم ، ولا اشعر بالاغتراب ابدا » .

وقصص الرواة الطويلة التى لا تنتهى تستبدل من وقت لآخر بعروض للعرائس المتحركة . وفى القاهرة يحضر نيو بهور احد تلك العروض ويحاول أن يكشف تفاصيلها : يقدم العرض فوق منصة ضيقة جدا فوقها صندوق يمكن للمرء أن ينقله بكل سهولة ، يجلس داخله محرك العرائس ، ويمرر شخوصه من خلال ادراج صندوقه الثلاثة ، ويجعل كل منهم يقوم بالحركات الشرورية وذلك بتحريك خيوطه (...) وفى فمه أداة تكسب صوته رنة حادة تتفق مع حجم شخوصه ، وكل ذلك يستحق الاهتمام لو أن العروض التى يحلو للمشاهدين أن يطلبوها لم تكن رديئة جدا . تبدأ العرائس بتحية الموجودين ، ثم تتعارك بالتدريج ، وينتهى بها الأمر إلى أن تتضارب ، ولكن لا يقتصر الأمر على عروض العرائس المتحركة ، فهم يستخدمون الفانوس السحرى أيضا ، ويؤسفه أن يكون هدفه الدائم هو : السخرية من عادات الأوروبيين .





● السوق الكبير تحية من القسطنطينية

● رجالان يدخانان النرجيلة فى استانبول - تصوير بيير لوتى





- اشخاص ومناظر مصرية - مقهى عربية
- بائع مصرى يبيع فى إحدى المقاهى مخطوطا يونانيا مهما لفرير بالذات
- متحف فرير بواشنطن



فن شرقى

وهكذا ، رغم ان القهوة تنتمى بعد ذلك إلى قوانين الضيافة فى كثير من الأمم التى تخضع لتعاليم القرآن ، فان المقاهى لم تكتسب ابدا حقها فى النبالة ، فعندما نقرا وصف القاهرة للرحالة التركى تيبىز الذى اقام فى مصر فى آخر القرن السابع عشر ندرك ان اشد الازدراء يملى عباراته ، فهو يتعجب لكثرة المحلات ويكتشف « تركيز المقاهى فى كل خطوة وفى اجمل الاماكن للقاء . والمولعون بها يبيكرون بالنهوض ، والرجال الاتقياء يمضون إلى المقهى لاحتساء فنجان القهوة ، مضيفين إلى حياتهم حياة .. » انهم يشعرون بطريقة ما ان تأثيرها الخفيف يكسبهم قوة لاداء واجباتهم الدينية وشعائيرهم . وتحمسهم فى العبادة بسبب المنبه الاسود سرعان ما يتحول إلى رفض لحياتهم الاجتماعية المعجزة . ولكن إذا نظرنا إلى الشعب الجاهل الذى يجتمع فيها فاننا نتساءل إذا كان يستحق هذا الحماس .. صفوة القول ان مقاهى مصر هى فى اغلب الاحيان أكثر الاماكن ازدحاما بالأشخاص . وعدد كبير من تلك المقاهى يحتلها قدامى الجنود والضباط والمسنين . عندما يقصدونها صباحا تفرش الحصر والسجاجيد ، ويبقون حتى المساء . وبعض الزبائن من مدخنى المخدرات من طبقة العبيد (...) ان هم إلا نفاية من المتطفلين (...) قوام عملهم تصدير المقهى واحتساء القهوة على الحساب ، والتحدث عن التشفيع عندما يتعرض الحديث إليه .

★ ★ ★

ومع ذلك فإن من الخطر أن تختتم ، بدءاً من العلاقات التي تبدو أحياناً أن لها صلة بالتنوير المبالغ فيه ، ونقول أن ارتياد المقهى يعتبر كأنه عمل مذموم ، وأن كل الذين يقضون فيها ساعات طويلة هادئة هم بالضرورة عاطلون ومتطفلون ، وأن الطبقات السفلى من المجتمع هي الوحيدة التي تختلف إليها . ففي سنة ١٨٧٠ ، زار الفونس دوديه الجزائر ، وفي كتابه « أقاصيص يوم الاثنين » يعبر عن معنى تلك الأماكن التي ترمز إلى فن من فنون الحياة وإلى عقلية حضارة من الحضارات « فالمقهى القريبة إنما هي صالون استقبال لأصحاب القصور العربية : بيت داخل البيت ، مخصص للضيوف العابرة ، يجد فيه أولئك المسلمون الكرماء جداً والمهذبون جداً الوسيلة التي تتيح لهم مزاولة أفضالهم الكريمة ، محققين في نفس الوقت بالصلة الأسرية التي يتطلبها القانون . والمقهى المغربية لصاحبها الأغا سى سليمان كانت مفتوحة ، يخيم عليها الصمت كاستبلااته ، جدرانها عالية ومطلية بالجير ، ومجموعة الأسلحة التذكارية ، وريش النعام ، والكنبة العريضة المنخفضة الممتدة بطول القاعة ، كل ذلك يرشح تحت سيول المطر التي يدفعها الريح من الباب . ومع ذلك فقد كان هناك حشد من الناس في المقهى . وعاد القهوجى واشعل موقده ووضع فوقه تنكتين صغيرتين .

وقد قامت المقاهى مقام صورة معكوسة لبلاط السلطان الباذخ ، أو بالحرى ، انعكاس ساخر للثقافة العالية التي توجد هي الأخرى فى السراى . والفنانون الذين ظهروا فى مناسبات تلك الأعياد لم يخلدهم التاريخ ، ولكنهم نقلوا السمات الحية الثقافية لا تكف عن أن تثرى من جيل إلى جيل .

★ ★ ★

والواقع انه يكفى فى هذا المجال أن نفهم أن الأحداث التى تدور فى المقاهى ذات السمعة الطيبة تتكرر خفية فى خصوصيات البيوت ، وهذا ما يتضح لنا على كل حال فى نبذة كاشفة من رواية بين القصرين حيث يتغلغل بنا نجيب محفوظ فى الحياة اليومية ببيت تاجر قاهرى ثرى فى بداية القرن : « واجتمعت الأسرة ، ما عدا الأب ، قبيل المغرب ، فيما يعرف بينها بمجلس القهوة . وكانت الصالة بالدور الأول مكانه المختار حيث تحيط بها حجرات نوم الاخوة والاستقبال ورابعة صغيرة أعدت للدروس . وقد فرشت الصالة بالحصر الملونة ، وقامت فى أركان الكنبات ذوات المساند والوسائد . وكانت أمينة تجلس عادة على كنبه وسيطة ، وبين يديها مدفأة كبيرة دفنت كنجة القهوة حتى النصف فى جمراتها التى يعلوها الرماد وإلى يمينها خوان وضعت عليه صينية صفراء صفت عليها الفناجين . ويجلس الابناء امام امهم سواء من يؤذن له باحتساء القهوة معها كياسين وفهمى (...) كانت تلك ساعة محببة إلى النفوس يستأنسون فيها إلى رابطتهم العائلية وينعمون بلذة السحر (...) وبينما جعلت خديجة وعائشة تستحاثان الشاربين على الفراغ من شربهم لتقرأ لهم الطالع فى فنجان ، راح ياسين يتحدث حيناً ويقرأ فى قصة اليتيمين من مجموعة مسامرات الشعب حيناً آخر . كان من عادة الشاب أن يهب بعض فراغه لمطالعة القصص والأشعار .



● جيرار جورج ليمير

مقاهى الشرق

□ نظرة أخرى □

**المصورون المشاركون فى التقاط صور المقاهى فى
العالم العربى . والمنشورة فى الكتاب .**

أثينا - (اليونان) :

رودولف حمادى ، مصور فوتوغرافى معمارى . عمل مساعدا
لإيرينا يونسكو وللرسام كورينى والمثال بوتشى دى روسى . اقام
معارض عديدة واعمالا : الأعمال الحديثة لأوسكار نييمير ، من
الدرج إلى السلام ، باريس أرابيسك ، اسكندرية مصر . وهو فى
الثانية والثلاثين من العمر ، ويقم فى باريس ، حائز على منحة
ليونارد دوفينشى فى سنة ١٩٩٠ (من وزارة الشؤون الخارجية)

تيسالونيكى (اليونان) :

فرانسواز نونيز . اتت إلى دار ضيافة الفنانين مرتين .
بتسالونيكى . وتقوم الآن مع بيير ديفان وبرنار بلوسو بالإعداد
لنشر كتابه عن تسالونيكى ، مرفق به نص لميشيل بوتور .

بيير ديفان . من مواليد سنة ١٩٤٦ بفرنسا . يشترك منذ سنة
١٩٨١ فى المركز الاقليمى للتصوير الفوتوغرافى (شرق بادي
كاليه) ، ويعرض اعماله فى فرنسا وبولونيا وانجلترا واليونان
وسويسرا . وله مؤلفات كثيرة منها : فوتوغرافى (لندن سنة
١٩٨٩) الزاوية العريضة (بريتون سنة ١٩٨٩) ، الكاميرا
الغامضة (اليونان سنة ١٩٨٩) فيج ١ باريس سنة ١٩٨٩ .

نيقوسيا (قبرص) :

نيكوس افرايميدس . رسام مشهور من مواليد ليماسول ، ومصور فوتوغرافى كذلك ، يعرض أعماله فى قبرص وفى الخارج . نال فى سنة ١٩٨٩ الجائزة الأولى فى المسابقة الدولية للتصوير الفوتوغرافى التى أقامتها فيات ببروكسل .

استانبول (تركيا) :

باتريك لاكمب ، موظف بالاسكندرية ثم باستامبول . قدم فى هذه الأخيرة معرضا عن الحياة اليومية فى تركيا . أعماله فى التصوير الفوتوغرافى احتجزتها بلدية استانبول للمساهمة فى مهرجان جولهان باركى .

الاسكندرية (مصر) :

كريستوف بروسكوسكى ، من مواليد كازيميرز فى بولونيا ، ينشر أعماله فى التصوير الفوتوغرافى (الفن التطبيقي) فى فارسوفيا ونيويورك مرورا بالاسكندرية وباريس . أعماله موجودة فى المجموعات العامة بمتحف الفن الحديث (مركز بومبيدو) ومتحف متروبوليتان ومتحف الاليزيه بلوزان .

القاهرة (مصر) :

فرانسواز جوردين ، من مواليد داکار ، وتقيم حاليا فى مصر . وقامت بتحقيقات مختلفة فى التصوير الفوتوغرافى فى جوادالوب (كاس نصب السكر) وفى ساحل العاج (اسواق افريقية) وفى المغرب (الأسواق) وفى مصر (الاهرامات والبوابات الفرعونية ، ومشاهد من الشارع) .

الدوحة (قطر) :

نيكوتشيكارون ، مستشار ثقافى بسفارة فرنسا فى قطر . واضح هذا الريبورتاج ، ومترجم نص الواس موزيل .

بغداد (العراق) :

عادل الطاي ، بعد دراسات في الرسم في اكلاديمية الفنون
الجميلة ببغداد ، وفي التصوير الفوتوغرافي في مدرسة الفنون
الزخرفية ببباريس اقام معارض كثيرة في العراق وفي فرنسا .

عمّان (الأردن) :

فيليب بك ، مدرس يقيم في مرسيليا . حقق ريبورتاجات كثيرة
منها ريبورتاج متميز عن الأردن .

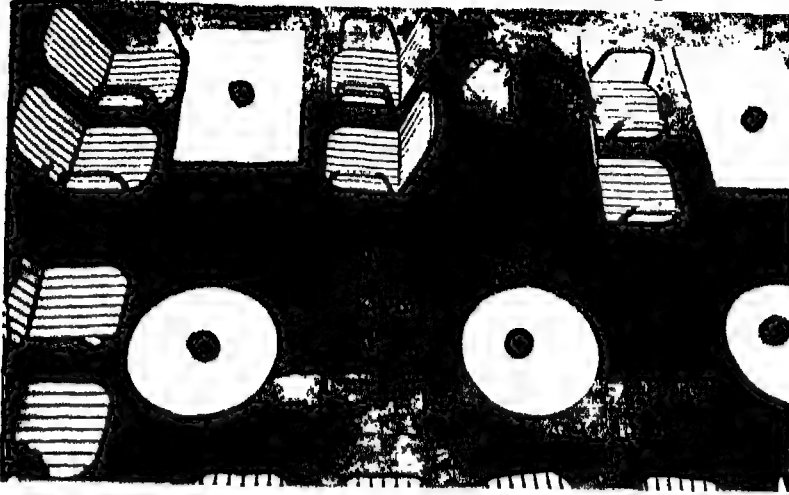
دمشق (سوريا) :

محمد رومي ، من مواليد حلب . دبلوم جامعة الفنون الجميلة
بدمشق . اقام معارض في الرسم والتصوير الفوتوغرافي في فرنسا
وسوريا والأردن . وعمل مع اليونيسيف واليونسكو ومؤسسات
مختلفة .



مقاهى اليونان

مقاهى الفيلوموسا - اثينا ، (تصوير رودولف حمادى)



مقهى « الكافنيون » أصبح تعبير للحياة الاجتماعية اليونانية . لا يقدم فيها الخمر وإنما الأوزو^(١) فحسب ، وتقدم معه المزة . وهناك فن كبير ورقيق وشاق فى احتساء كأس الأوزو خلال ساعات . بضع قطرات متتابعة لترطيب اللسان الذى جف لغرط الحديث ، كما يقول لاريس فاكينوس « اثينا » ولكن « الكافنيون » أكثر من أى شيء ، مكان لتناول القهوة ومعها ، دائما كوب من الماء البارد . والواقع ان المرء يشرب قليلا من الكافنيون ، ذلك المكان المبدد للقلق ، كما يقول جاك لاكاريير فى كتابه « الصيف اليونانى » ، فالناس تنفرد فيه طواعية ، حبا للمناقشة ، والتعليق على اقوال الصحف بكل اهتمام ، وتقام فيه اجتماعات قبل الانتخابات . ولكن إذا وجد اليونانى فيه مجاله السياسى ، فإنه لا يزدري مع ذلك مجاله للهو والترفيه فيتناوب لعبة الدومينو والبلياردو والطولة ، ويقذف الزهر وهو يصخب ويحتسى الأوزو فى نفس الوقت

(١) العرقى (اثينا)

● مقهى زونار « اثينا » تصوير : رودولف جمادى



تطل مقهى الكافنيون على الشارع بضجيجهِ وعجيجهِ ، وتجذب إليها بالطبع الصحفيين والكتاب . كان بالماس يجد فيه فى سنة ١٩١٦ « أجمل منعزل . الانفراد وسط الجمهور ، والسلام وسط الصخب ، والدراسة وسط الضوضاء .. » وتأثير المقاهى الباريسية الأدبية (مقهى فولتير ، والقط الأسود وغيرها) فى الفترة ما بين الحربين يظهر من خلال الكتاب الذين عاشوا فى فرنسا بظهور المقاهى الأدبية ، فتجد فيها تيراكيس وهاتزوبولوس . وفارناليس وبابا ديامانتيس .

بعض هذه المقاهى أغلقت أبوابها . والبعض الآخر كمقهى « البيزانتيو » وأورالا « هيللى سى » تحولت ، الأولى إلى محل فاخر للحلوى ، والثانية ، وتقع فى حي بلاكا ، إلى مقهى ومركز لعرض الفن الشعبى ودورهما الاجتماعى قائم اليوم على الحلوى : « محل زونار » بشارع بانبستيميو ، وصالونات شاي على الطراز الباريسى « فيلوموسا ببلاكا » وحانات تقليدية لتقديم الأوزو : حانة بلاتان بشارع بلاكا وحانة « أبو ستوس » بشارع بانبستيميو ، وهذا الأخير مكان مشهور للقاء الرجال السياسيين .

● مارى هيلين ستافرو

اثينا

وكان المساء سحرا للعيون من نوع آخر ، فقد كان كل شيء ورديا
أو ذهبيا . وكان للأوليمبي ظلال من الجمر أو من المعدن المذاب ،
تنعكس في بحر أملس كالجليد . لم يكن في الهواء أى دخان ، وبدا
كانه لم يعد هناك جو ، وكان الجبال تتجزأ في الفضاء البعيد إلى
حد أن أكثر نتوءاتها بعدا كانت محددة المعالم وواضحة تماما .

★ ★ ★

كنا نجلس في أغلب الأحيان على الشاطئ ، حيث يتجمع
الجمهور أمام ذلك الجون الهادئ . وكانت آلات الطرب بمقهى
بارارى دوريان تعزف الحانها الغريبة تصاحبها الجلاجل والقبعات
الصينية ، والقهوجية يزحمون الطريق العام بموائدهم الصغيرة
الحافلة دائما بالطلبات ولا يلاحقون تلبية طلبات جميع مدخني
الترجيلة ، وطلبات القهوة واللوكوم والعرقى .

● بييرلوتى - أزيادة



تأسس هذا المقهى والمطعم سنة
١٩٢٢ باندماج محلين الأوليمبوس
والناووسا ، بناه مهندس فرنسى
يدعى جوزيف بليبر فوق قطعة أرض
شب عليها حريق سنة ١٩١٧ ،
واشتهر المشروب والفضم شهرة
كبيرة في ذلك الوقت ، واستقبل كثيرا
اوركسترا بوخارست ثبل أن يتحول
في سنة ١٩٢٦ إلى مطعم حقيقى .
وهو الآن أحد الأماكن التى تفضلها
عائلات سالونيك البورجوازية
التقليدية ، فى الظهر وفى الأسبوع .

● تسالونيكى ● قاعة مطعم اوليمبوس - ناووسا

تصوير : بيير ديفان

مذكرة من ماكرونيوس . الجرسون يتقدم وفي كل يد من يديه
كرسيان يضعهما ميخائيل حول المائدة ، تاركا مسافة خالية ناحية
الوادي . وأخرج الجرسون من جيبه ورقة كبيرة بيضاء ومفارش
والملاحة . وبسط المفرش وسال :

— هل تنتظر اشخاصا آخرين ؟

قال جاريلاس وقد عرف باراسكوس ، المولى ظهره بشجرة
التوت ، في الظل .

— شخصان آخران .. كلا . بل شخص آخر .

قال الجرسون : لم يعد يوجد لحم . هل تريد بيضا وجبنا مقليا
وانشوجة وسلطة ؟

سأله ميخائيل : والنبيذ ؟ .. كيف هو ؟

— لا بأس به .

واخذ الجرسون الطلب وانصرف . كانت المقهى تقع في الناحية
المواجهة لبית تركي عتيق ، بشرفة صغيرة ودرف مغلقة . وكانت
قناديل الحانة تنير المارة في غموض ، وبضعة أطفال يعبرون منطقة
النور راكضين ، ثم لا تلبث أن تسمع أصواتهم الحادة البرمة في
جوف الليل ، من بعيد ، وراحت دراجة بخارية تصدر صريرا حادا
منقطعاً بصورة مزعجة ، كما لو كان أبو الفصاد يصر في قلب
الظهر .

● ستراكيس تسيركاس

مدن على غير هدى

● تسالونيكي



● الناشر ستافروس بتسوبولوس فى مطعم اوليمبوس ناوروسا
بتسالونيكى .

تصوير : فرانسوا نونيز

هناك على الخصوص الدفائيات .. دفايات فى المقاهى المخصصة
للرجال ، فى مطعم اوليمبوس ناوروسا حيث تتابع العين المواسير
التي تمتد حتى السقف وحتى خزاناتها الكثبية التي استحال لونها
حتى أصبح كلون السبانخ المهروسة التي يجميلون بها الأطباق .

● صوفى باسك

● سالونيك ، الساعة العاشرة والدقيقة السابعة
والثلاثين ديسمبر سنة ١٩٨٩ .

من رواد المقهى المعتادين الناشر بتسوبولوس الذى فدين له
بنشر هذا الكتاب ، بين غيره ، باليونانية ، ودى جينييه وبتاتى
ودورا وهنرى جيمس هو الآخر ول . كارولى ستيفنسون .



● « ملتقى الأصدقاء » بليماسوس
● تصوير : نيكوس أفراميدس

« ملتقى الأصدقاء » يقع في الحي القديم للمحلات والسوق . كان الرجال يقصدونه فيما سبق ، من قراهم ، عندما يأتون إلى المدينة لبيع منتجاتهم . ولا يزال القبارصة يرتادونه بكثرة . ويتناولون فيه القهوة التركية . مضبوط أو على الريحة أو سادة .

● نيقوسيا



● مقهى قديمة بجوار محكمة العدل بليماسول
● تصوير : نيكوس افراميدس

● واحدة من اقدم مقاهى المدينة حيث يلتقى المحامون والاطباء
بين غيرهم من الناس . ولا يزال يرتاده اليوم رجال من الجيل
القديم .

● نيقوسيا

□ مقاهى تركيا □

بعد أن تجولنا فى كل الأماكن المالوفة
بإستانبول ، ودخنا أعدادا كبيرة من النرجيلة ،
وطقنا بجميع المساجد ، تواجدنا فى المساء فى
أيوب ، وقد عدنا مرة أخرى إلى ذلك المكان ،
حيث لم أعد غير أجنبى لا مأوى له ، سرعان
ما تمحى ذكراه .

أحدث دخولى مقهى سليمان أعمق الأثر ، فقد كانوا يحسبوننى
اختفيت وانتهيت إلى الأبد حقا .
كان الحاضرون فى تلك الليلة كثيرين ، ومن خليط مختلف ،
رؤوس كثيرة جديدة تماما ، ومن أحياء مختلفة . جمهور من
الصعاليك والحتالة تقريبا .

ومع ذلك فقد دبر أحمد حفلة وداع من أجلى ، فجاء بأوركسترا :
مزماران لهما صوت حاد كصوت مزمارة القرية ، وأرغن وصندوق
كبير .

ورضيت بهذه الإعدادات على وعد قاطع بأن لا يتحطم شئ وأن
لا أرى دما يراق .

سوف نلهو الليلة كثيرا ، وأنا نفسى لا أتمنى أكثر من هذا .
جاعونى بنرجيلتى وفنجانى من القهوة التركية ، وكلفوا احد
الصبية بتجديدهما كل ربع ساعة . واخذ احد الحاضرين من
أيديهم ، وجمعهم فى دائرة ودعاهم إلى الرقص .

★ ★ ★

بدأت حلقة طويلة من الوجوه الجديدة فى الرقص أمامى ، على ضوء الفوانيس المضئبة ، وراحت الموسيقى الحادة ترج أعمدة المكان ، والأدوات النحاسية المعلقة لصق الجدران السوداء تهتز وتصدر صريرا معدنيا ، والمزماران يطلقان نغمات حادة ، والفرحة الكبيرة تدوى فى جنون .

وبعد ساعة كان الجميع يتخبطون ، نشوانين من الحركة والصخب . كانت الحفلة حسب المنى والمرام ، وأنا بالذات لم أعد أرى شيئا إلا من خلال ضبابية ، وامتلات راسى بالأفكار الغريبة المشوشة . وراح الناس يجيئون ويروحون متعبين لاهثين ، فى الظلام ، والرقص دائر دائما وأحمد فى كل دورة يحطم لوحا من الزجاج بظهر يده .

وتحطمت ألواح المقهى كلها ، الواحد بعد الآخر ، وتناثرت شظاياها ، وراح الراقصون يطاونها ويسحقونها بأقدامهم . ويد أحمد المتشققتان بجروح عميقة تلوث الأرض بالدم .



● استانبول



● منظر لصالون اجاڻا كريستي في بيرلا بالاس
تصوير: باتريك لاکومب

الإسم وحده أسطورة ، أسطورة
قطار الشرق ، ملتقى مشاهير
الشخصيات ورؤوس أوروبا وغيرها
المتوجة تشترك في أسرار الشرق
الكبيرة . لم يستطع الكتاب
مقاومته . بيير لوتى وبريس
وهيمنجواى وكلود فارير .. وعلى
الخصوص أجاثا كريستى التى
نافست جريتا جاربو وجوزفين بيكر
وماتا هارى فى الظهور فيه .

● استانبول

دخلت مقهى تركية بجوار مسجد بايزيد هربا من المطر .
لا شيء فى تلك المقهى غير عمائم قديمة ولحى كبيرة بيضاء .
شيوخ (حاجى بابوات) جالسون مذهبون فى قراءة الصحف
أو النظر من خلال الألواح التى سودها الدخان إلى المارة الذين
يجرون تحت المطر . سيدات تركيات فاجاتهن المطرة يجرين
بالسرعة التى تسمح بها لهن أحذيتهن الخفيفة وقباقيبهن . كانت
هناك فوضى كبيرة فى الشارع وبين الناس . هرج ومرج كبيران ،
وتدافع ، والمطر ينهمر مدرارا .

القيت إلى الشيوخ الذين يحيطون بى نظرة خاطفة . ملابسهم
تدل على محاولة دقيقة للاحتفاظ بمودات الأيام الخوالى الحلوة .
كان كل ما يرتدونه « اسكى » ، حتى نظاراتهم الغضبية الكبيرة ،
وحتى ملامحهم المغضنة ، و « اسكى » كلمة ينطقونها بكل احترام ،
ومعناها « قديم » وتنسجم فى تركيا مع البدل القديمة وأنماط
الملابس أو الأقمشة القديمة . ان الأتراك مغرمون بالماضى ،
ويحبون السكون والركود .

★ ★ ★

فى المقهى التركية لصاحبها سليمان القهوجى يوسعون الدائرة
حول النار . وعندما وصلت انا وصمويل وأحمد ، سلمت على كل
الحاضرين باليد ، وجلست لكى اصغى لراوى سهرات الشتاء
« القصص الطويلة التى تستمر كل منها ثمانية أيام والتى يتخللها
ذكر الجن والجنيات » وتمر الساعات دون تعب ودون ندم ، وأجد
نفسى مرتاحا بينهم ، ولا اشعر أبدا بالاغتراب .
● بيير لوتى - ازيادة

● استانبول

● مقهى بيير لوتى ، استانبول
● تصوير : باتريك لاكمب



تقع هذه المقهى فى حى ايوب ، فوق تل يشرف على الساحل الذهبى . والمفروض انها أوت غراميات بيير لوتى وازياده .
ان تخرج صباحا من « الأتميدان » لكى تصل ليلا إلى ايوب ، وأن تطوف ، وفى يدك مسبحة . بالمسجد ، وأن تمر بكل المقاهى والمدافن والأضرحة والحمامات والميادين ، وأن تحتسى القهوة فى الفناجين الصغيرة الزرقاء ذات القاعدة النحاسية ، وتجلس فى الشمس ، وتتاامل فى هدوء ، وأنت تدخن النرجيلة وتتحدث مع الدراويش ، ومع المارة ، وأن تكون أنت نفسك جزءا من تلك اللوحة الزاخرة بالحركة والنور ، وأن تكون حرا ، لا تبالى بأى شىء ، وأن تفكر ان الحبيبة سوف تنتظرك فى البيت فى الليل .

● بيير لوتى - ازيادة

● استانبول

□ مقاهى الاسكندرية □

رايتها كل يوم ، طوال شهور . ولكن جمالها
الهادىء لم يوقظ فى اى إحساس . كنت التقى بها
كل يوم ، وأنا ماض فى طريقى إلى مقهى
« الأقطار » حيث ينتظرنى بلتازار ، وقبعته
الزرقاء مضغوطة فوق رأسه ، لكى يعطينى
« الدرس » . لم يخطر ببالى اننى قد اغدو
عشيقها .

كنت احسد الجراة التى تشق بها جوستين طريقها فى تلك
الشوارع التى تفضى إلى القهوة حيث انتظرها : « الباب » الباب
ذو القبة المحطمة ، حيث نجلس بكل براعة ونثرثر ، ولكن حديثنا
كان لا يلبث ان يتخذ مضمونات كنا نعتبرها بشائر صداقة طاهرة
وبريئة .

التقيت به ذات يوم فى بار ، وبقيت نصف ساعة تقريبا جالسا
على مقعد عال بجواره . كنا نتلهف على تبادل الحديث ، ولكن
لم يجد اى منا الجراة على أن يكون البادىء . كانت مليسا هى
الموضوع الوحيد المشترك بيننا للحديث . ورايته وأنا منصرف ،
فى إحدى المرايا الطويلة التى تكسو الجدران ، مطرق الرأس ،
والنظرة شاردة فى عينيه .

كانت أولى المصاييح الباردة والباهتة الضوء قد بدأت تضيئ ظلامها على الخلفية القماحية للوحة الاسكندرية الرطبة . والمقاهى الصغيرة على شاطئ البحر تلقى أضواء فوسفورية باهتة ترتعد فى الهواء الدبق .

● لورانس داريل - رباعية الاسكندرية

فى نفس اليوم كان رجل غريب يجلس فى الركن المعتاد المحجوز لبلتازار فى مقهى « الأقطار » ويحتسى عرقى . وهو العرقى الذى كان فى نيته هو بالذات أن يطلبه . كان الرجل يشبهه بشكل غريب ، مع أن ذلك الشبه كان مشوها فى المرأة بتكشيرة كشفت عن أسنانه الشديدة البياض ، ولم يشأ أن يرى أكثر من ذلك واسرع إلى الخارج .

وفى شارع فؤاد احس فجأة أن الرصيف اصبح رخوا تحت قدميه ، كالاسفنج . وكان قد غاص فيه إلى النصف من جسده عندما تلاشى الوهم . وفى الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم صحا من نوم محموم ، وارتنى ثيابه وخرج لكى يتأكد من الإحساس القاهر بأن سترودس ومقهى دوردالى خاليان .

وفى النهاية ، تذكر نسيم مقهى صغيرة قديمة فى المكس حيث يمكنه أن يجد بيضا مسلوقا وقهوة . ورغم أن الوقت كان لا يزال مبكرا فقد نهض صاحب المقهى . وهو يونانى ، ووضع لهما ، والنحاس لا يزال يغالبه ، كرسيين تحت شجرة تين عقيمة ، فى فناء مملوء بالدجاج ومخلفاتها الهزيلة .

● لورانس داريل - رباعية الاسكندرية



● بستردوس بالاسكندرية
● تصوير : كريزستوف بروكووسكى

صالون شاي بشارع فؤاد ، يعتبر احد الأماكن الممتازة للقاء فى رباعية الاسكندرية . وهذا المحل لا يزال راقيا ومتميزا حتى اليوم . ظل المقر العام للجالية اليونانية مدة طويلة . كان كفافى يقضى جل وقته فى المطالعة فيه . ويشير تسيركاس اليه . اما انجاريى الذى ولد فى الاسكندرية وقضى شبابه فيها فانه يصفه ويقول عنه « المكان الراقى جدا » حيث تطرى وتغتاب فيه سمعة النساء الجميلات اللاتى يتواعدن على لقاء عشاق الامس فيه .

● الاسكندرية



● جائزة نوبل فى سان ستيفانو بالاسكندرية
● تصوير : كريستوف بروكوسكى

من عادة نجيب محفوظ ان يقضى الصيف فى الاسكندرية .
ويلتقى الكاتب العربى الاول الحائز على جائزة نوبل فى ساعة
محددة من عصر كل يوم . فى سان ستيفانو ، باصدقائه : شعراء
وكتاب الاسكندرية . من السهل ارتياد هذا النادى . ويحتسى رواده
القهوة فى الهواء الطلق وهم مولون ظهورهم للبحر القريب ،
ومحفوظ يعلق على أحداث اليوم وهو ممسك بمقبض عصاته وكله
ابتسام .

□ مقاهى القاهرة □

بعد أن تناولت الغداء فى الفندق مضيت وجلست فى أجمل مقاهى الموسيقى، رأيت لأول مرة العالمات ترقص أمام الجميع . وددت حقا ان اصف المشهد قليلا ، ولكن الواقع انه ليس بالديكور زخارف سواء كانت زهوراً أو عمداً أو خزفاً أو بيض نعام معلقا . انك لا تجد مقاهى شرفيه هكذا إلا فى باريس . ولك بالأحرى أن تتصور دكانا مربعا متواضعا مطلقا بالجبر كل ما فيه من زخارف لوحات مرسومة متكررة لساعة كبيرة موضوعة وسط مرج بين شجرتى سرو . وباقى الزخرفة يتكون من عدد من المرايا المرسومة هي الأخرى والمفروض أنها تعكس جمال غصن نخلة تنتثر فيه قارورات زيت تسبح فيها مهارات ليلية ، وهو منظر له تأثير لا بأس به فى المساء .

وتنتشر حول المكان أرائك من الخشب الخشن ، يحيط بها أقفاص من الخيل تستخدم كمساند خفيفة لأقدام المدخنين الذين توزع عليهم من وقت لآخر الفناجين الصغيرة الأنيقة التى سبق أن تكلمت عنها . هناك يجلس بطول الجدار ، الفلاح بصدرته الزرقاء ، والقبطى بعمامته السوداء أو البدوى بمعطفه المخطط ، ويرون فى غير دهشة أو أى ظل من الاستغراب الفرنجى يجلس بجوارهم . والقهوجى يعرف انه يحب أن يحلى فنان هذا الأخير جيدا .

ويبتسم الجميع لهذا الإجراء الغريب . والموقد يقع في ركن من الدكان ، وهو في العادة أئمن شيء فيه . والمنصة الموضوع فوقها مزينة بالخزف المدهون والمزين بخطوط ملقوية تشبه اشكال المحارة والصدف ، وقريب الشبه بالمواقد الالمانية ، وفوق المنصة العديد من القنكات النحاسية الحمراء ، لأنه لابد من ان تغلى تنكة لكل قنجان من تلك الفناجين الكبيرة كظروف البيض .
جيراردى نرفال « رحلة في الشرق »

● القاهرة





● مقهى باحد شوارع حي الباطنية بالقاهرة
● تصوير : فرانسواز جورن

« طالما تواعد قاهري مع قاهري آخر على اللقاء في «مقهانا»
فيمكن التحدث عن مقاهي القاهرة وما تمثله من ضرورة في حياة
المصريين بالمدينة الكبرى .. ولكن إلى متى أيضا « جمال الغيطاني
(القاهرة ، مطبوعات دار اوترمان .) إذا لم تعد مقام أدبية في مصر
فإن هذه المقاهي الصغيرة ، التي يرتادها المرء وهو في عجل من
أمره سوف تبقى .

أول ما يشعر به المرء فى تلك المقاهى هو إحساسه بأنه دخل فجأة حيا مختلفا ، بل ربما حتى دنيا أخرى . وربما أيضا عصرا آخر ، فهناك هدوء ، وضوء معين أخضر فاتح سرمدى يبعث الطمانينة إلى النفس . رواده القلائل كانوا يجلسون البعض بعيدا عن البعض الآخر . صامتون وهادئون . حتى هذان المنعزلان اللذان يلعبان الطاولة . وطالب من الأزهر ، وهو قريب جدا ، منحن فوق ورقة من الورق الشفاف وضعها على ركبتيه وراح ينسخ بقلمه صفحة من كتاب مجلد بالذهب ، وافندى يضع فوق عينيه نظارة نظر ويسبح على مسبحة خفية وهو ينظر إلى دنياه الداخلية . والمناضد الصغيرة التى كان لونها أخضر فيما سبق تستقر فى اتزان فوق الأرض الممهدة بالشارع الصغير . والواقع أن المقاعد والمناضد تتجاوز المقهى وتشغل مساحة ملتقى الطرق ، فلا تمر به عربات حنطور ولا عربات يد ، والشحاذون والمتشردون والمتسكعون وجامعو أعقاب السجائر والباعة المتجولون يخفضون أصواتهم ويمشون فى سكون بمجرد أن يمرؤا تحت التند التى تغطى مفترق الطرق ، فهناك يمضى الوقت بطريقة مختلفة . وصخب الشارع يهدأ ، وكل شئ يكتسب قيمته الحقيقية التى لا تتغير . الأفكار والحنين والأحلام والشأى الأخضر ، وهو نعناع مغلى ، يقدم فى اقداح صغيرة رخيصة ولكنها باحلى الألوان . واللبلاب الذى وجد الوسيلة لكى يؤصل جذوره ويتسلق فوق الأبواب ، وعصافير الكناريا التى ترقزق فى أقفاصها الخضراء ، والجرسون ، وهو خصى ، بصوته الرخيم المرتفع .

● ستراتيس تسيركاس

● القاهرة

● مقهى الفيشاوى ، خان الخليلي ، القاهرة
● تصوير : فرانسواز جورن



تقع هذه المقهى القديمة بجوار
جامع الأزهر الكبير ، وهي مشهورة
بمراياها طراز سنة ١٩٠٠ بإطاراتها
الذهبية التي ذهب رواؤها .

● القاهرة

□ مقاهى قطر □

إعداد القهوة

النساء فى المخيم هن اللاتى يقمن بالطهى فى
الحى فهو حينهن . اما القهوة فتعد عند الرجال ،
فما ان يصدر الامر : « فلتؤجج النار لاجل
القهوة » حتى يسرع عبد او الابن او الزوجة
او الابنة واحيانا صاحب الخيمة نفسه ، فيقذح
القداحة ويشعل النار فى عود جاف من الشيح
ويحركه فوق راسه ليلهب شعلته ثم يضعه تحت الخشب ، ويضع
بجوار النار بعد ذلك ملقاطين كبيرين ثم يخرج التنكات من سلة من
الخيزران او من الحوض .

وهناك فى العادة اربع تنكات ، تعرف اكبرها باسم « المطبخة »
او « القمقم » يوضع فيها طوال ايام كثيرة تفل البن ، ويصب عبد
الماء فوق التفل ، ويضع التنكة بجوار النار . اما التنكات الاخرى
فتشطف ويفرغ ما فيها فى التنكة الكبيرة ثم تنظف بقطعة من وبر
الجمال وتوضع بعد ذلك على يمين الموقد حيث يوجد ابريق من
النحاس وقذح مستدير من الخشب قطره نحو عشرة سنتيمترات
وعلوه نحو ستة ويستخدم كوعاء .

★ ★ ★

وتخرج صاحبة الخيمة من حقيبة جلدية أو من كيس من الصوف أو من صندوق الجلد حفنة من حبوب البن يضعها عبد في مقلاة لها يد طويلة تستخدم لتحميم البن ويسمونها « محمصه » ويضع المقلاة فوق النار ، ويقلب الحبوب بملعقة من المعدن مثبتة في يد المقلاة بسلسلة طويلة من النحاس . وما أن تبدأ الحبوب في الاسمرار حتى يسرع في تقليبها لكي يتساقط لونها . وعندما تسمر تماما ، يقلبها في طبق كبير من الخشب به يد طويلة لكي تبرد . ويسمون هذا الطبق « البرادة » وفي اثناء ذلك يصب الماء المغلى من التنكة الكبيرة في المتوسطة التي يضعها بجوار النار . ويأخذ هاونا من الخشب المنحوت وينظفه ويضع فيه حبوب البن المنزوعة من قشورها ، ويتناول بيده اليمنى يد الهاون الخشبية الطويلة ، ويضغط اليد والهاون بين ركبتيه ، ويطحن البن . وكل خمس أو ست دقائق يقرع يد الهاون على حافته ليسقط ما علق بها من مسحوق . وأغنية اليد والهاون تسمع في كل الأرجاء ، ويعلق عليها الجميع . هل هي منتظمة ؟ وهل يدقها النادل ببراعة ، فإن طحن البن فن يتطلب مواهب موسيقية . وعندما يصبح البن ناعما كالدهن ، يقلبه العبد في يد اليمنى أو في التنكة المتوسطة رأسا ويغليه فيها . ويسمون هذه التنكة « المصفاة » ويلف العبد قطعة الصوف التي نظف بها التنكة على المقبض ويبقى التنكة فوق النار وهو يحرص على أن لا تفور القهوة . وعندما تصبح جاهزة ويبعث لونها يرفع التنكة ويضعها بجوار النار لكي تهدأ . ثم يأتي ببعض حبوب الحبهان ، وبحفنة من الزعفران كذلك ويضع الجميع في الهاون ويطحنه . ويصب المسحوق في التنكة الثالثة ، وهذه التنكة التي مزجت فيها القهوة بالبهارات تسمى « مبهرة » . ومن صندوق من النحاس أو من قفص يخرج العبد فناجين صغيرة من الفخار ، ويصب قليل من الماء في كل منها ثم ينظفها بقطعة من القماش يلفها حول ابهامه . ويصف الفناجين فوق صينية من النحاس . وعندما يتم إعداد القهوة الممزوجة بالبهارات يصب قليلا منها في التنكة

الرابعة والأصغر ، ويصب بضع قطرات من القهوة فى فنجان ويسكبها على الأرض ، تضحية لصدري ، اول من صنع القهوة .

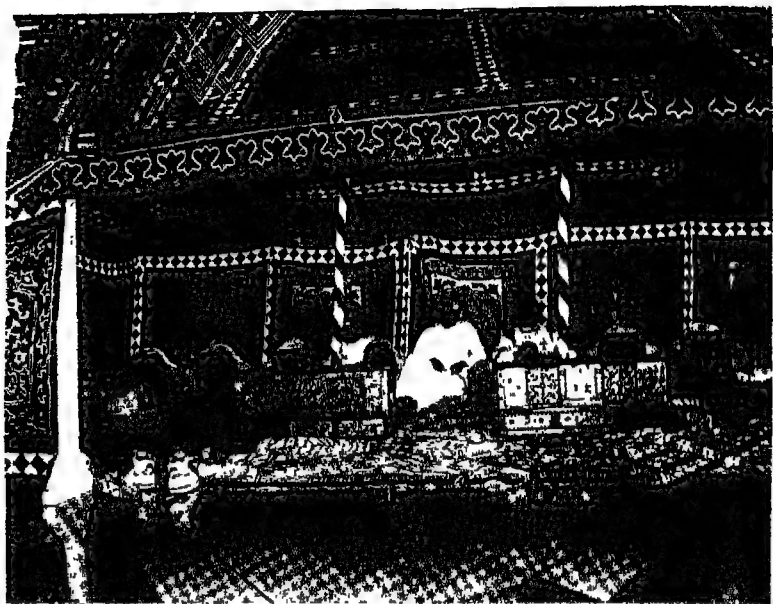
★ ★ ★

ويصب لنفسه عندئذ ، ويفحص اللون ، ويخرج جرعة ، ويفرقع بلسانه ويتذوق القهوة اخيرا ، وإذ يفرغ من ذلك يأخذ بيده اليسرى من أربعة فناجين إلى ستة ، من المصفوفة فوق الصينية ، ويصب فى كل منها خيطا رفيعا من القهوة . وما ان تغطى القهوة قاع الفنجان حتى يناوله لأقرب الضيوف . ويأخذه هذا الأخير بيده اليمنى ويرشف رشفة ويفرقع بلسانه ، ويتذوق المشروب فى بطنه فمن غير اللائق ان يشرب القهوة جرعة واحدة ، ويخدم العبد باقى الضيوف . وعندما يفرغ الضيف الاول من فنجانه يملأه له ثانية . ويدير القهوة على باقى الرجال . ويجب على الضيف ان يرفض مرة رابعة حتى ولو كان لا يزال ظمان ، ولكنه يمكنه مع ذلك ان يتناول قهوة من جديد بعد فترة .

● الواس موزيل

عادات وتقاليده بدو الروالا

● الدوحة



● قهوة تقدم فى خيمة بدوية تقليدية ، الدوحة
● تصوير : نينو سيتشارون



• لاعبو الورق في استراحة هواة الصيد ، الدوحة
• تصوير : نينو سينتشارون

يا للقهوة ، المشروب اللذيذ الذى يفضلهُ الحكماء !
انت ايتها القهوة ، انك لتبديدين الهموم ، وانت المشروب
المفضل .

عند الحكماء واحباب الله . انك تمنحين صحة لمخلوقات الله
الذين يحاولون ان يكونوا حكماء .
ان شذاك يزرى شذى المسك ، ولك لون الحبر الذى يغمس فيه
القلم الذى يسطر تسييحات الله .
والمؤمن الذى يتذوقك هو وحده الذى يعرف الحقيقة .
ايتها القهوة .. ايها المشروب المفيد كاللبن والذى لا يختلف عنه
إلا باللون .

كل الأحزان تتوارى امام فنجان من القهوة ، كما تتوارى
العصافير عندما تلمح الصقر .
لم يمر وقت طويل منذ ان رآها واد باليمن تولد ، وإذا كنت فى
ريب من ذلك فانظر إلى نضرة الشباب التى تتالق على خدود
محببها .

انها مشروب أبناء الله ، وهى منبع الصحة ، والسيل الذى
يكتسح همومنا . انها النار التى تغنى أحزاننا . من يتذوق القهوة
لا يسعه بعد ذلك إلا ان يكره الخمر .
يا للمشروب اللذيذ ! ان لونه هو الصبغة التى تدل على نقاوته .
تناول الكثير من القهوة يا اخى ولا تصغ للحمقى الذين يلعنونها
بدون سبب .

★ ★ ★

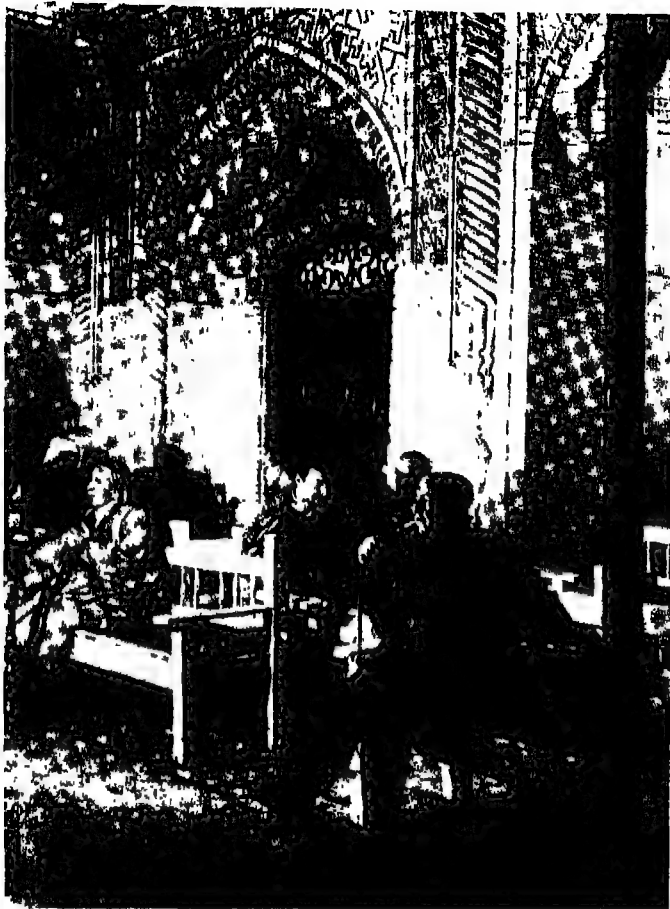
□ مقاهى بغداد □

تجد المقاهى فى بغداد القديمة
فى كل مكان تقريبا ، على نواصى
الأزقة ، ومفارق الطرق ، وعلى
شاطئ البحر ، وفى الأسواق ،
بجوار المساجد .
بين جدران تلك المقاهى
المخصصة بكل صرامة للرجال ،
يتكلم الحكماء فوق أرائكها ،
يدخنون النرجيلة ويستمتعون
بالشاي أو بالقهوة التركية وهم
يغيرون الدنيا .

نبذة من كتاب المقاهى وخاصيتها فى بغداد القديمة
لنورى حمودى القيسى



مقهی مسجد الاسكافین - بغداد
● تصویر: عادل الطای



مقهى مسجد الاسكافيين - بغداد
● تصوير : عادل الطائي

لكل طائفة مقهاها . فيلتقى التجار
 فى مقهى الحاج حسن ، بخورجة
 التى لا تزال حتى يومنا هذا أكبر
 سوق فى بغداد ، ويتناقش الشعراء
 ورجال الأدب فى ألف ليلة وليلة
 وعنتر وعبلة فى مقهى أصفهاني ،
 بجوار السراى . أما الصناع
 والبناعون ، الذين يشتغلون من
 طلوع الشمس حتى غروبها
 فيستريحون فى مقهى الحاج محمد
 القهوجى ، الذى يمون نرجيلتهم
 بأجود أنواع التبك التركى الذى
 يستورده له خصوصاً تجار استانبول
 وهم يتوقعون يومين أو ثلاثة فى خان
 « مرجان » ، صاحب أشهر خان
 للقوافل وذلك ان يستأنفوا طريقهم
 نحو البصرة .

نعيذة من كتب المقاهى وخاصيتها فى بغداد القديمة
 لنورى حمودى القيسى

□ مقاهى الأردن □



● مقهى خورى ، واحة معان ، بين عمان والعقبة
● تصوير : فيليب بك

تقع هذه المقهى فى مدخل واحة معان ، بين عمان والعقبة ، على الطريق الصحراوى ، وتعتبر استراحة لكل السائقين فى كل البلاد . سائقو الشاحنات الكبيرة ، والسياح العائدون من بئرا ، والسعوديون الذين يبحثون عن المنتجات الاستهلاكية . كل شيء فى مقهى خورى احمر : النيون والجدران والحصائر والسجاجيد .

● عمان



● مقهى خورى ، واحة معان ، بين عمان والعقبة
● تصوير : فيليب بك

مثلت من الأشياء التذكارية ، وصور لا تحصى في إطار العائلات الملكية بالأردن والعربية السعودية تملأ هذه الحانة الشبيهة بكهف على بابا . والسيد خورى سائق لورى قديم ، بذل جهدا كبيرا طوال سنوات (لتشييد) قصره المثالي .

● عمان

□ مقاهى دمشق □

قبل أن يعود المرء إلى بيته ، فمن أسهل الأمور أن يمضى إلى المقهى ليتناول قدحا من الشاي الثقيل جدا والمطلى جدا ، ويلعب الطاولة أو الكتشيبة ، ويدخن نرجيلة ، ويتبادل ليها الطويل وجليونه مع اصدقائه ، فى كياسة كبيرة .

يوجد فى بعض هذه المقاهى حكاواتى ، راو لقصة عنتر ، وهو رجل حسن عادة ، بنظارة ضخمة ، ولحية قصيرة . ويجلس فوق مسطبة ، خلف درج ، ويعكف كل ليلة على قراءة القصة بصوت مرتفع ، ويصغى إليه الجميع وهو يجلسون انفاسهم . وفى آخر كل حلقة ، عندما يكون الاهتمام على أشده ، والفضول قاهر والعقدة مثيرة يتوقف ويطبق كتابه ويعد المستمعين بتكملة بقية القصة فى اليوم التالى .

ويحدث أحيانا أن يتحيز بعض المستمعين للبطل أو لغريمه وترتفع المناقشات الحادة ، ويتراهن المستمعون على كيف تكون النهاية ، إلى حد أن أكثرهم تحمسا لا يستطيعون الصبر حتى اليوم التالى ، فيمضون ، فى وقت متأخر من الليل إلى بيت الحكاواتى ، ويوقظونه من نومه لكى يسمعوا كلمة تهدئهم . ويضطر الراوى فى أغلب الأحيان إلى إرضائهم لكى يتجنب مشاجرة .

● انجيلوس كوسبيروجلى
دمشق الأيام الخوالى



● مقهى قلمون ، باب العمارة ، دمشق
● تصوير : محمد رومي

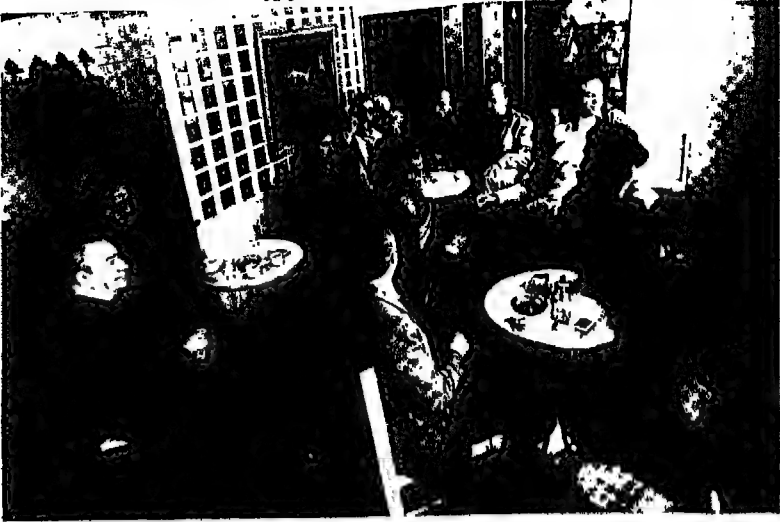
هذه المقهى إحدى أواخر المقاهى التى مازالت تخلد عادة « الحكاوية » ، الرواة العموديون . وقد أنشئت فى سنة ١٩٥٠ . ويقول ياسر الحلاق . ابن صاحبها « إن شغف الزبائن ينقسم بين هواة رواية عنتر ، وقراءتها تسبب دائما نزاعا بين أنصار البطل ومشنعيه ، وبين عاشقى ملحمة بيبرس ، والجميع يرون أنها أكثر فائدة وثقيفا . وأبو محمد الحكاوى ، ٨٠ سنة ، من مواليد حلب ، وانتقل إلى دمشق فى سن مبكرة . حيث أمتهن مهنة الراوى فى أكثر المقاهى شهرة ، كمقهى النوفارا والمصلابة .. وهو اليوم يتابع مهنته فى مقهى قلمون ، بين صلاتى المغرب والعشاء ثم ينهى سهرته فى مقهى بيبرس بباب البريد .

مقامى دمشق كثيرة وانيقة ، اغلبها مبنى على هيئة كشك من الخشب المطلى باللون مختلفة السائد فيها اللون الأخضر والأزرق . ومفتوحة من جميع النواحي فيما عدا تلك التى يرتفع فيها اللباب المتسلق بطول الأعمدة التى ترتفع فيرتكز عليها السطح . وفى الداخل أريكة تدور بالمكان من كل جهة وعليها ، بين مسافة وأخرى . مساند (...) ولكن المقهى من الخارج رائعة لا يفوقها روعة إلى الموقع الذى تقع به . والمقامى عادة تقع على شاطئ بعض الجداول ، حيث ترى مساقط مياه جميلة وبساتين (...) وهمسات المياه تهدد الأذن برفق ، فى حين تستريح العين .

● ج . روبنسون

● مقهى توليدو ، هومز

● تصوير : محمد رومي



عند إدخال آلات القهوة «الاكسبرسو» في سوريا في الخمسينات ، جرت المودة عندئذ على تسمية المقاهي الجديدة « البن البرازيلي » . وسرعان ما أصبحت تلك الأماكن ملتقى الرجال السياسيين والصفوة الفنية والأدبية . وهكذا التقى في مقهى « الهومز » صبحي شعيب ، واحد من أوائل الرسامين السوريين ، وعبد المعين ملوحى ، ورفيق فلخوري ، وعبد البر عونى مسعود ونيدان دنداش ، وكلهم من رجال الأدب . ورواد مقهى الهومز ، الذين يعشقون تغيير أماكن لقاءاتهم واجتماعاتهم نبذوا مقهى البن البرازيلي لعقد اجتماعاتهم في سنة ١٩٧٢ في مقهى « توليدو » او بوجه اصح ، في ركن من تلك المقهى ، تحت نفوذ أحمد دراك سباعى ، الرسام والاب الروحى لنبذة رجال الفكر . وهذا الأخير ، وقد مات منذ عهد قريب ، ورسم تلك المقهى « الجانب الأيسر من الصورة » ، ونتعرف اليوم على أربعة من كبار الرسامين : عون الدروبي ، وعبد القادر عزيز ، ورضا حسنى وعبد الله مراد .

● دمشق



■ ■ .. الفصل السادس من الرواية الخالدة
« قصر الشوق » لنجيب محفوظ حيث يلتقي
كمال عبد الجواد بصديقه في مقهى حقيقي كان
تحت الأرض بخان الخليلي وقد اندثر الآن.

- ٦ -

سارا جنيا الى جنب صوب درب قرمز ، متجنين طريق
البحرين ، ليتفاديا من المرور بالدكان حيث يوجد والداها . .
كمال يقامته الطويلة النحيلة ، وقواد يقامته القصيرة ، تكاد
صورتاهما تلفتان الإنظار بتناقضيهما . تساءل قواد بصوت هاديء :
- اين تذهب هذا المساء ؟

فاجابه كمال بصوته الانفعالى :

— قهوة احمد عبده ..

كان كمال — عادة يقرر ، وفؤاد يوافق رغم ما عرف عن الأخير من رجاحة العقل ، ورغم نزوات كمال التى كانت تبدو مضحكة فى عين رفيقه ؛ مثل دعواته المتكررة له للذهاب الى جبل المقطم والقلعة والخيمية لتسريح النظر — على حد تعبيره — فى مخلفات التاريخ وعجائب الحاضر ، ولكن الحق ان العلاقة بين الصديقين لم تخل من تأثير بفارق طبقتيهما ، وكون الاول ابن صاحب الدكان والاخر ابن وكيله ، وعمق هذا التأثير ان فؤاد اعتاد فى صباه ان يؤدى ما يكلف به من شراء بعض حوائج لبית السيد احمد ، وان يكون صنعة لكرم أمينة التى لم تكن تضمن عليه بأحسن ما عندها من مأكلى — وكثيرا ما يصادف مجيئه اوقات الغداء — وأصلح ما يمكن استغناء عنه من ملابس كمال ، فربط بينهما منذ البدء شعور باستعلاء من ناحية وبالتبعية من ناحية أخرى . . وهو وان مضى يزول بطول شعور الصداقة محله ، الا ان اثره النفسى لم يقتلع من الأعماق ، وقد قضت ظروف بالا يجد كمال من رفيق تقريبا طوال العطلة الصيفية الا فؤاد الحمزادى ؛ ذلك ان رفاق صباه من اهل الحى لم يواصلوا التعليم الى النهاية : منهم من توظف بالابتدائية او الكفاءة ، ومنهم من اضطر الى مزاوله عمل من الأعمال البسيطة مثل صبى قهوة بين القصيرين وصبى الكواء البلدى بخان جعفر . كان كلاهما من أقرانه فى الكتاب . وما زال ثلاثتهم يتبادلون تحية الزمالة القديمة كلما اتفق لهم اللقاء ، تحية مشربة بالاحترام من ناحيتهما لما يضيفه طلب العلم عليه من امتياز ، مشبعة من ناحيته بالوداد الصادرة عن نفس مطبوعة على التواضع والبساطة ، أما اصدقائه الجدد الذين اكتسب صداقتهم فى العباسية : حسن سليم ، واسماعيل لطيف ، وحسين شداد فكانوا يقضون العطلة فى الاسكندرية ورأس البر ، فلم يبق له من رفيق الا فؤاد .

بلغا مدخل قهوة احمد عبده بعد مسيرة دقائق ، فهبطا الى مستقرها الغريب فى جوف الأرض تحت خى خان الخليلى ، واتجها الى مقصورة

خالية ، وفيما هما يجلسان متقابلين حول المائدة اذ تمتم فؤاد في شيء من الحياء :

ت ظننتك ستذهب هذا المساء الى السينما ! .

وشى قوله برغبته في الذهاب الى السينما ، ولعلها راودته قبل أن يذهب الى مقابلة كمال في بيته ولكنه لم يفصح عنها ، لا لانه لا يستطيع أن يثنى كمال عن رأى فحسب ، وانما لأن كمال هو الذى يقوم بنققات السينما اذا ذهب اليها معا ، فلم تواته شجاعته نى التلميح الى رغبته حتى استقر بهما المجلس بالقهوة ، حيث يمكن أن يؤخذ قوله مأخذ الملاحظة البريئة العابرة .

— سنذهب يوم الخميس القادم الى الكلوب المصرى لمشاهدة شارلى شابلن ، فلنذهب الآن عشرة دمينو .. //

خلعا طربوشيهما ووضعاهما على مقعد ثالث ، ثم نادى كمال النادل ، طلب شايًا أخضر ودمينو . بدأ المقهى المدفون كجوف حيوان من الحيوانات المتقرضة طمر تحت ركاب التاريخ الا رأسه الكبير ؛ فقمع تشبث بسطح الأرض فاغرا فاه عن اثياب بارزة على هيئة مدخل ذى سلم طويل . وثمة فى الداخل صحن واسع مربع الشكل مبلط بالبلاط المعصرانى تتوسطه فسقية رصت على حافتها اصص القرنفل ، واحدقت بها من الجهات الأربع أرائك فرشت بالحصى المزركش والوسائد ، اما جدرانها فقد انتظمتها مقاصير صغيرة الحجم متجاورة ؛ كان الواحد منها كهف منحوت فى الحائط ، لا نافذة بها ولا باب لها ، واقتصر اثائها على مائدة خشبية والربعة مقاعد ومصباح صغير يشتعل ليل نهار فى كوة بأعلى الجدار المواجه للمدخل . وكان القهوة اكتسبت من موقعها الغريب بعض صفاته ؛ فهي تهوم فى هدوء غير مألوف لسائر المقاهى ، وضوء غير باهر ، وجو رطيب ، وقد انطوت كل جملة على نفسها فى مقصورتها أو فوق أريكتها ، تدخن النارجيلة وتحسو الشاي وتهيم فى دردشة لا نهاية لها ، تكاد تشملها نغمة صبا وانية متصلة الا ان تقطعها فى فترات متباعدة سعلة أو ضحكة أو قرقرة مدخن منهم . كانت قهوة أحد عبده فى نظر كمال مجتلى للمتأمل وتحفة للحالم ،

أما فؤاد - وإن لم تغب عنه طرافتها أول عهده بها - فلم يعد يجد فيها إلا مجلببا كثيبا تغشاه الرطوبة والهواء الفاسد ، ولكنه لم يكن يملك إلا أن يلبى كلما دعى إليها !

- اتذكر يوم وأنا أخوك سى ياسين ونحن فى مجلسنا هذا ؟

قال كمال باسما :

- نعم ، سى ياسين متسامح ولطيف ولم يشعرنى أبدا بأنه أخى الأكبر ، بيد أنى رجوته يومذاك ألا يشير الى مجلسنا فى البيت لا خوفا من أبى ، فان أحدا عندنا لا يجزؤ على مكاشفته بمثل هذا الأمر ، ولكن اشفاقا من ازعاج والدتى ، تصور أنها ترتعب اذا علمت بترددنا على هذه القهوة أو غيرها ، وتظن ان أغلبية رواد المقاهى من الحشاشين وسيئى السمعة !

- وسى ياسين ، ألم تعلم بأنه من رواد المقاهى ؟

- اذا قلت لها هذا خالت لى : ان ياسين «كبير» ولا خوف عليه ، أما انا فصغير ! ، الظاهر انى سأظل معدودا فى الصغار فى بيتنا حتى يدركنى الشيب !

جاء النادل بالدومينو ، وقدحين من الشاى على صينية فاقعة الاصفرار ، فتركها جميعا على المائدة وذهب ، تناول كمال قدحه من قوره وراح يحتسيه من قبل أن تخف حرارته ، ينفخ السائل ثم يتمزقه ، وينفخ مرة أخرى ويمصص شفثيه كلما لسعته الحرارة ، ولكن ذلك لا يردعه فيعاود المحاولة فى عناد وجزع كأنه محكوم عليه بالفراغ منه فى دقيقة أو دقيقتين ، على حين جعل فؤاد يراقبه صامتا أو يعد بصره الى لا شىء وهو مستند الى ظهر مقعده فى رزانة اكبر من سنه ، تلوح فى عينيه الواسعتين الجميلتين نظرة عميقة هادئة ، ولم يعد يده الى قدحه حتى كان كمال قد فرغ من مغالبة قدحه ، وعند ذلك أقبل يتحسى الشاى فى ثان مستطعما مذاقه مستلذا نكهته ، وهو يغمغم بعد كل حسوة « الله .. ما أطيبه » ، والآخر يحثه على الفراغ منه بصبر نافذ كى يأخذا فى اللعب ، وهو يقول مثلوا :

- لاهزمنك اليوم ، لن يحالفك الحظ أبد الدهر ..

فيبتسم فؤاد مغفما :

— سنرى . . .

واخذا يلعبان .

كان كمال يولى المباراة اهتماما عصبيا ، كانه يخوض معركة تتوقف على نتائجها حياته أو كرامته ، بينا مضى فؤاد فى نظم قطعه بهدوء ومهارة فلم تغارق الابتسامة شفثيه ، أقبل الحظ ام ادير ، هش كمال ام عيس ، وقد خرج كمال — كمادته — عن طوره ، فهتف به : « لعب سخيف ، وحظ سعيد » . فلم يزد الآخر عن أن ضحك ضحكة مهذبة لا تثير حنقا ولا توخى بتحد . طالما قال كمال لنفسه وهو يتميز غيظا « لن يبرح حظه راكبا حظى » ، ولم يكن يلقى اللعب بالتسامح الخليئ باللهو والتسلية ، بل الحق لم يكن ثمة فارق — فى اهتمامه وحماسه — بين جده ولهوه . على أن تفوق فؤاد فى المدرسة لم يكن دون تفوقه فى الدومينو ؛ كان أول فرقته بينا كان هو فى الخمسة الاوائل . فهل تعد دور للحظ فى ذلك أيضا ؟ ، كيف يعمل تفوق الشاب الذى ينطوى له فى الاعماق على شعور بالاستملاء ظن انه ينبغي أن يمتد الى المواهب العقلية على السواء ؟ . لم يعد رأيا يهون به من تفوق صاحبه ، فهو يقول انه يكرس وقته كله للمذاكرة وانه لو كان عقله بالتفوق الذى يزعمون لاغنى عنه بعض هذا الوقت . ويقول أيضا : انه يتجنب الألعاب الرياضيه وقد برز هو فى أكثر من نوع منها ، ويقول أخيرا : ان فؤاد يقتصر فى مطالعته على الكتب المدرسية ، واذا تراعى له أن يقرأ كتابا غير مدرسى فى العطلة لاحظ فى اختياره أن يكون مفيدا للراسته اللاحقة . اما هو فلا تحد مطالعته حدود ولا توجهها منفعة ، فما وجه الغرابية فى ذلك فى أن يسبقه الشاب فى الترتيب ؟ . غير أن سخطه هذا لم يعرض صداقتهما للوهن ، كان يحبه ويجد فى رفقته مؤانسة ومسرة الى انه لم يرض — على الأقل فيما بينه وبين نفسه — بالاقرار بفضائله ومزاياه .

تواصل اللعب وانتهت العشرة — على غير ما اندر به مطلعها — بانتصار كمال ؛ فتطلق وجهه ، وضحك ضحكة عالية ، ثم سال غريمه : « عشرة أخرى ؟ » . ولكن فؤاد قال باسم « حسبنا اليوم

ما كان « لعله كان مل اللعب ، أو لعله اشفق من أن تجيء نتيجة
المشرة المقترحة مخيبة لآمال كمال فينقلب سروره غما ، فهز كمال
رأسه كالمتعجب ، وقال :

— افك كالمسك من ذوى الدم البارد !

ثم بلهجة المنتقد ، وهو يدلك أرتبة أنفه العظيم بإبهامه وسبابته :
— انى أعجب لك ، إذا غلبت لم تأبه للأخذ بشارك ، وتحب سعد
ولكنك تنكص عن الاشتراك في مظاهرة أريد بها تحيته يومولى الوزارة ،
وتتبارك بسيدنا الحسين ولكن لم تهتز لك شعرة يوم ثبت لنا من
تاريخه ان جثمانه غير ثاو في ضريحه القريب ! انى أعجب لك ..

شد ما يحنقه البرود ، ان ما يسمونه « العقل » لا يطيقه ، وكأنه
يحب الجنون ويهيم به . انه يذكر يوم قيل لهما في المدرسة : « ان
ضريح الحسين رمز ولا شيء غير ذلك » . عادا يومذاك معا وفؤاده يردد
ما قاله مدرس التاريخ الاسلامى ، وكان كمال يتسائل منزعا :
كيف أوتى صاحبه تلك القوة التى تحمل بها الحيز كأنه شان لا يعنيه ؟!
أما هو فلم يستسلم لتفكير ، لم يستطع ان يفكر البتة ، وكيف لثائر
ان يفكر ؟ ، سار كالمترنح من هول الطعنة التى نفذت الى صميم قلبه ،
كان يبكى خيالا نضب وحلما تبيد ، لم يعد الحسين بجارهم ، بل لم
يكن بجارهم يوما من الايام ، أين ذهبت القبلات التى طبعت على باب
الضريح فى صدق وحرارة ؟ ، أين يذهب الاعتزاز بالقرب والادلال
بالجوار ؟ ، لا شيء من هذا كله ، لم يبق الا رمز فى الجامع ووجشة
وخيبة فى القلب ، وبكى ليلتذاك حتى بلل وسادته ، تلك كانت الصدمة
التي لم تحرك فى صديقه العاقل الا لسانه حين علق عليها مرددا اقوال
مدرسين التاريخ ، الا ما أبشع العقل !

— هل علم والدك برغبتك فى دخول مدرسة المعلمين ؟

.. قال كمال بحدة جاءت ملفزة عن ضيقه ، يزود صاحبه والله المتخلف
من مناقشة ابيه معا :

— نعم ! ..

— وماذا قال لك ؟

فقال يروح عن صدره بمهاجمة محدثه عن طريق غير مباشر :
 - والسفاهة .. ان والدي كآثر الناس - من ييمون بالظاهر
 الزائفة ، الوظيفة .. النيابة .. القضاء .. هذا كل ما يهمه . لم ادر
 كيف اقنعه بجلال الفكر والقيم السامية الحقيقية بالنشدان في هذه
 الحياة ! غير انه ترك لي حرية التصرف ..

جعلت اصابع فؤاد تمسك بقطعة من الدومينو ، وهو يقول في حذر
 واشفاق :

- قيم جليلة بلا شك ، ولكن اين البيئة التي ترفعها الى المنزلة
 الالائقة بها ؟

- لا يمكن ان اتبدع عقيدة سامية لا شيء الا ان من حولي لا يؤمنون
 بها ..

فعاد فؤاد يقول في هدوء مسكن :

- روح خديرة بالاعجاب ! .. ولكن الا يحسن بك ان تقدر
 مستقبلك في ضوء الواقع ؟
 فتساعل كمال بازدياد :

- ترى لو كان زعيمنا قد اخذ بهذه النصيحة ، اكان يفكر جديدا
 في ان يذهب الى دار الحماية للمطالبة بالاستقلال ؟

ابتسم فؤاد ابتسامة كأنها تقول « رغم ما في حجتك من وجهة
 فهي لا تصلح قاعدة عامة في الحياة » ، ثم قال :

- ادخل الحقوق حتى تضمن عملا محترما ، ولك بعد ذلك ان
 توأجل ثقافتك كما تشاء !

فقال كمال محتدا :

- لم يجعل الله لامرئ من قلبيين في جوفه ، ثم دعنى احتج على
 ربطك العمل المحترم بالحقوق ! كان التدريس ليس عملا محترما !!

فبادر فؤاد يقول بتوكيد يدفع به عن نفسه الشبهة :

- لم أقصد هذا مطلقا ، ومنذا الذى يقول ان حفظ العلم ونشره

ليس عملا محترما ؟ .. لعلى كنت اردد رأى الناس واننا لا ادرى ،
 والناس كما اشرت الى شيء من هذا تبهرهم أضواء القوة والنفوذ !

فهنر كمال منكيه لستهانه ، وقال باصرار :
— ان حياة تكرس للفكر لهى أجل حياة ..

هنر فؤاد راسه كالوافق دون ان ينبس ، وظل لاثذا بالصمت
حتى ساله كمال :
— ما الذى دعاك الى اختيار الحقوق ؟

ففكر قليلا ثم اجابه :
— لم اكن مثلك واقعا فى غرام الفكر ، فكان على ان اختار دراسة
عالية على ضوء المستقبل وحده ، فاخترت الحقوق ..

اليس هذا هو صوت العقل ؟. بلى انه هو ، شد ما يثير حنقه
وتمرده ، اليس من الظلم ان تمضى العطلة الطويلة وهو حبس هذا الحى
ولا رفيق له الا هذا «العائل» ؟، ثمة حياة أخرى تعارض حياة الحى
العتيق معارضة الضد للضد ، وثمة رفاق آخرون يخالفون فؤاد مخالفة
النقيض للنقيض ، الى تلك الحياة والى اولئك الرفاق تهفو نفسه ، الى
العباسية ، الى الطراز الطريف من الشباب ، وقبل كل شىء الى
الاناقة الرفيعة والنعمة الباريسية والحلم البديع .. الى معبودته ،
آه .. ان نفسه تنازعه الى البيت ، الى حجرته كى يخلو الى نفسه
فيدعو كراسته ، يراجع تاريخا او يستعيد ذكرى او يسجل نفثة ؛
الم يئن له ان يقوض هذا المجلس ويذهب ؟
— قابلت اناسا فسالوني عنك .. ؟

تساءل كمال ، وهو ينزع نفسه بمشقة من تيار الوجد :
— من ؟

فؤاد ضاحكا :

— قمر ونرجس !

قمر ونرجس ابنتا ابو سريع صاحب الملقى ، قبو قرمز ، الازقة
المظلمة بعد الغروب ، العبث المشوب بالسذاجة الدنسة او الدنس
الساذج ، المراهقة المحومة ، الا يذكر هذا كله ، ما لسفتيه تتقلضان
تقرزا ؟، ذلك تاريخ قديم نسبيا ، قبل حلول الروح القدس ، لا يذكره

الا ويثور قلبه سخطا والما وحجلا كما ينبغي لقلب اترع بشراب الحب الطهور .

— كيف قابلتهما ؟

— في زحمة مولد الحسين ، فسرت الى جانبهما دون تردد
او ارتباك كأننا أسرة واحدة جاءت لتطوف بالمولد !

— يا لك من جرىء !

— أحيانا ، سلمت فسلمتا ، وتحادثنا مليا ، ثم سالتني قمر عنك !
تورد وجهه قليلا ، وهو يسأل :

— ثم ؟

— اتفقنا مبدئيا على أن أخبرك ، ثم نتقابل جميعا !

هز كمال رأسه في نفور ، ثم قال باقتضاب :

— كلا

فقال فؤاد في دهش :

— كلا ؟ ، ظننتك ترحب بلقاء تحت القبر او في فناء البيت

المهجور . نضج جسماهما ، وعما قليل تصيران امرأتين بكل معنى
الكلمة ، وعلى فكرة كانت قمر مرتدية الملاء اللف ولكنها كانت سافرة
فقلت لها ضاحكا : لو لبست البرقع ما تجرات على محادثتك !

قال كمال باصرار :

— كلا . . .

— لم ؟

— لم اعد اطيع القذارة !

ثم بحدة نمت عن ألم دفين :

— لا أستطيع أن ألقى الله في صلاتي وثيابي الداخلية ملوثة !

فقال فؤاد بسداجة :

— تطهر واغتسل قبل الصلاة !

فقال كمال ، وهو يهز رأسه للاستعارة الضائعة :

— ان الماء لا يطهر من النفس . .

ذلك الصراع القديم ، كان يمضي الى لقاء قمر مضطربا بالشبهوة

والفلق ويعود بضمير معذب وقلب باك ، ثم عقب الصلاة يستغفر
استغفاراً حاراً طويلاً ، لكنه يمضى مرة أخرى مغلوباً على أمره ثم يعود
بالعذاب ليستغفر من جديد .. يا لها من أيام نضحت بالشهوة
والمرارة والعذاب ، ثم انبتق النور ، هنالك وسعه أن يحب وأن يصلى
بما ، كيف لا! والحب من منبع الدين يقطر صافياً ! قال فؤاد في شيء
من الحسرة :

— انقطعت علاقتى بنرجس منذ منعت من اللعب في الحارة !
فساله كمال باهتمام :

— ألم تكن — وأنت المؤمن — تتعذب بتلك العلاقة ؟

فقال فؤاد ، وهو يفض البصر حياء :

— هنالك أمور ما منها بد ..

ثم متسائلاً ، وكأنه يدارى حياءه :

— أترفض حقاً انتهاز هذه الفرصة ؟

— بكل تأكيد !!

— لوجه الدين وحده ؟

— اليس هذا كافياً ؟

ابتسم فؤاد ابتسامة عريضة ، وقال :

— كم تحمل نفسك ما لا يحتمل ..

فقال كمال باصرار :

— انى لكذلك وما ينبغى لى أن اكون غير ذلك ..

وتبادلا نظرة طويلة ، افصحت في عيني كمال عن الاصرار والتحدى ،
فانعكست في عيني فؤاد مهادنة وابتسامة كاشعة الشمس الجهنمية التي
تنعكس على سطح الماء للاء ضاحكاً ؛ ثم واصل كمال حديثه :

— انى ارى الشهوة غريزة حقيرة ، وامقت فكرة الاستسلام لها ،

لعلها لم تخلق فينا الا كي تلهمنا الشعور بالمقاومة والتسامى حتى
نعلو عن جدارة الى مرتبة الانسانية الحققة ، اما أن اكون انساناً واما أن
اكون حيواناً ..

فترث فؤاد قليلاً ، ثم قال بهدوء :

— نظن انها ليست شرا خالصا ، فهي الدافع الى الزواج . فالذرية !!
 خفق قلب كمال خفقة عفيفة لم تجر لفؤاد في خاطر ، اهذا هو
 الزواج في النهاية ؟ ، لكنه لم يكن يجهل هذه الحقيقة في جعلتها وان كان
 في حيرة لا يدري كيف يوفق الناس بين الحب والزواج ، انها مشكلة لم
 يرتطم بها في حبه ؛ لان الزواج بدا دائما — ولاكثر من سبب — فوق
 مرتقى مانيه — ولكن ذلك لم يمنع من قيامها مشكلة تتطلب الحل . ما كان
 يتصور ان يكون اتصال سعيد بينه وبين معبودته الا عن طريق العطف
 الروخي من ناحيتها والتطلع الهمان من ناحيته ، طريق بالعبادة اشبه
 بن هو العبادة نفسها ، فاي شأن للزواج في هذا ؟
 — الذين يحبون حقلا لا يتزوجون .

تساءل فؤاد بدهش :

— ماذا قلت ؟

فطن حتى قبل تساؤل فؤاد الى ان لسانه خان ارادته . فبدا عليه
 الارتباك لحظة حرجة ، وراح يتذكر آخر اقوال فؤاد قبل ندود هدد
 الجملة الغريبة عنه حتى اهتدى بشيء من الجهد — على حداثة العهد
 بسماعها — الى كلماته عن الزواج والذرية ، فصمم على مداراة هفوته
 وعلى تصحيح معناها ما امكن ، فقال :

— الذين يحبون ما فوق الحياة لا يتزوجون ، هذا ما عنيت ..

ابتسم فؤاد ابتسامة خفيفة او لعله كان يقاوم ضحكة نه غير ان
 عينيهِ العميقتين لم تنما عما وراءهما ، واكتفى بان قال :

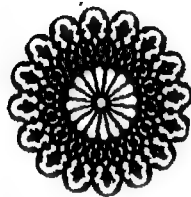
— هذه امور خطيرة ، والحديث عنها الآن سابق لأوانه ، فلندعها
 مرهونة بأوقاتها ..

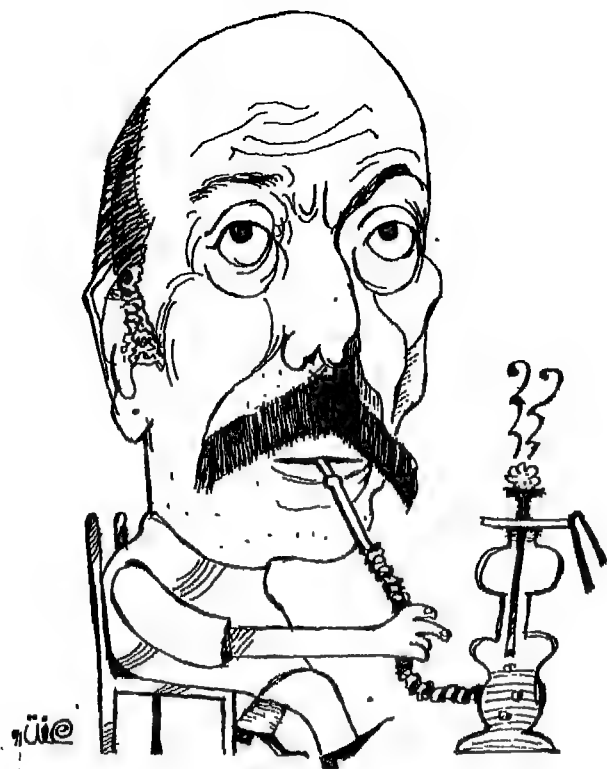
فرفع كمال منكبيه باستهانة وثقة ، وقال :

— فلندعها ولنتنظر ..

فؤاد في واد وهو في واد ، على ذلك فهما صديقان ، لايسعه ان ينكر
 الخلاف في نفسه يجذبه اليه على ما في ذلك من جهد تعائيه اعصابه المرة
 بعد المرة ، ألم يشن له أن يعود الى البيت ؟ ، الوحيدة ومناجاة النفس

تجاذبانه . الكراسية النائمة في درج مكتبه نهيج جيشان صدره . لابد
للمكدود في مكابد الواقع من انتجاع بعض الراحة في الانطواء ..
- آن لنا أن نعود ...





● الولد الشقى فى القهوة ●

■ ■ فى مذكرات الولد الشقى «

لمحمود السعدنى يذهب مع ضيقه طوغان إلى

المقهى لأول مرة ويحدث لهما موقف مخرج ..

ما هو ؟



وكان الجارحى بائسا غاية البؤس . ذليلا غاية الذل ، حتى عندما يتكلم
بحماس او يفخر . . فإن صوته كان يخرج خفيضا منحنيا كأنه يتسول حسنة
لوجه الله ! ولم يكن الجارحى يدخن سجائر ولكن نحن الذين علمناه ! وفي
البدء كان عندما يشفط نفسا عميقا يقضى وقتا طويلا يكح حتى تدمع عيناه
ويبصق حتى تبرز امعاؤه . . ورغم صوته القبيح المسلوخ فقد كان يحب
القناة ، وكان يغنى مواويل كلها ضعف وحزن وغلب واستكانة ، وكان
الاحزان التى تجثم فوق صدره أعلى من هرم خوفو وأثقل من جبل المقطم .

كان كل شيء في البدء - أصبحت الجيزة - ظلاما في ظلام ! الحرب قامت
وكما ياجدع وشارع الترمای يشغى بالعساكر الانجليز والافريكان واهنود
واجناس شتى لم نسمع بها ولم نسمع عنها من قبل . والعساكر معهم
سجائر ولديهم بسكويت وفي جيوبهم مطاوى ، وهم دائما سكرانين ودائما
مترنحين ومحافظهم متخمة دائما بالنقود .

وهم يشترون الشيء الذى يساوى قرشا ويدفعون عشرة ، وأحيانا يشترون
ولا يدفعون شيئا . . . وأحيانا يتفاهمون بالذوق ، وأحيانا يتفاهمون بالمطاوى . .
ولاننا عيال ، ولاننا نشرب سجائر ، ولاننا في منتهى الشقاوة ، فقد انطلقت
صرخة من غزالى الى شارع الترمای ، وهرينا جميعا من حوارى الجيزة الى الميدان
نتفرج على العساكر ونشغلهم ونعاكسهم ، ثم تطورت المسائل اكثر فأصبحنا
نخطف برانيطهم . . وكنا كلما خطفنا خطفة او هبشنا هبشة ، نعود جريا الى
المخبأ نسهر مع الجارحى نشعل سجائر ونحكى قصصا ونضحك من الاعماق .
وكان الجارحى هو غفير المخبأ . . فى الثلاثين من عمره ولكنه لسوء التغذية
كان يبدو فى العشرين . . أقرع الرأس أعمش العينين ، اصفر الجلد كأنه صينى
اصيل !

وكان قبيح الصوت الى درجة تنفرك من جميع الاصوات . . صوت مبجوح
مكتوم متحرج ، وكان صاحبه يموت !
وكاذ عندما يتكلم أحلق فى وجهه طويلا . فقد كنت أشك فى أنه يتكلم من
فمه ، وكنت أعتقد أحيانا أنه يتكلم من كعوب رجله . . ولم يكن الجارحى
عسكري فى الجيش العامل ولكنه كان عسكري فى جيش انشئ خصيصا من
اجل الحرب ثم صدر قرار بحله بعد ذلك . . وكان اسمه الجيش المرباط .

ولقد أنشئ هذا الجيش لحراسة المخايء . ومنشآت الانجليز وغازنهم .
 وكان العسكري منهم يتقاضى في الشهر بضعة قروش . ويرتدى زيا مضحكا
 للغاية وكانه اراجوز في مولد الامام الشافعي ..
 وكان الجارحي بائسا غاية البؤس ذليلا غاية الذل .. حتى عندما يتكلم
 بحماس او يفخر .. فإن صوته كان يخرج خفيضا منحنيا كأنه يتسول حسنة لوجه
 الله ! ولم يكن الجارحي يدخن سجائر ولكن نحن الذين علمناه !
 وفي البدء كان عندما يشفط نفسا عميقا يقضى وقتا طويلا يكبح حتى تدمع
 عيناه ويصق حتى تبرز أمعاؤه .. ثم يجلس بعد ذلك مهموما مطرق الرأس
 وكأنه فقد عزيزا لديه .. ورغم صوته القبيح المسلوخ فقد كان يحب الغناء ..
 كان يغني مواويل كلها ضعف واستكانة وغلب وحزن .. وكان الاحزان التي
 تحجم فوق صدره أعلى من هرم خوفو واثقل من جبل المقطم .
 وذات مساء كان معنا قرش صاغ واحد .. فاتفقنا على الجلوس في المقهى وان
 نطلب براد شاي بقرش صاغ وان نتقاسمه جميعا وكأنه زجاجة ويسكي هيج ..
 وجلسنا على المقهى فعلا وطلبنا براد شاي فقط لاغير .. وجلسنا نشرب وكل منا
 يضع ساقا على ساق .. ومر من امامنا تلميذ معنا في المدرسة ، وكان مهذبا
 ومؤدبا وغاية في الاناقة والكمال .. وحيانا من بعيد كما يفعل الجنتلمان ..
 وكرجالة اراتات ردنا التحية بأحسن منها ، واتفصل ، ومتشكر . وحلفان
 بأغلظ الايمان .. ومسك في الهدوم وانتهت المعركة بالجلوس على المقهى معنا ..
 واضطررنا الى ان نطلب واحد شاي للضيف العزيز .. وهكذا وقعنا في
 المشكلة .. علينا للجرسون قرشين وليس معنا الا قرش واحد . واقترح
 عبدالسلام ان نعتذر للجرسون عن عدم وجود نقود معنا . وان ندفع له القرش
 الوحيد ونؤجل دفع القرش الآخر الى اليوم التالي . ولكن هذا الاقتراح رفضناه
 بالاجماع .. فمن يدري ؟ ربما رفض الجرسون اللعين قبول هذا العرض وعندئذ
 قد ينهال علينا ضربا ولطشا ولكما .. وقد نخرج من المقهى بعاهة مستديمة بسبب
 الشهامة واکرام الضيف .

واقترح طوغان ان تنسلل من المقهى هارين فرادي واحدا وراء الآخر ..
 واقترح ايضا ان يضرب لنا المثل ويكون اول المتسللين !! فعلا تسلل طوغان من
 المقهى ، وتسلل عبدالسلام بعده ، وصلاح كرنك كبعده .. وبقي غزالي وسعد
 كرنك والعبد لله . وكانت الخطة ان اتسلل انا بعد ذلك ثم سعد ثم يبقى غزالي
 وحده في النهاية حتى يتحين فرصة مناسبة فيهرب بجملته من المقهى الى المخبا .
 ولكن غزالي رأى تغيير الخطة فجأة .. فهاطنا صهريب .. فما الذي يمنع من
 ان نطلب مزيدا من الشاي ومزيدا من الدخان المعسل .. واذا غامرت في شرف

مروم ، فلا تقنع بمادون النجوم .. على رأى المتنبى . وانجعصنا فعلا ، وصفقنا للجرسون ، وطلبنا براد شأى مرة أخرى وكرسى دخان معسل .. وجلسنا نشرب وندخن ونبتسط آخر انبساط ، فلما انتهنا اقترح غزالى مرة أخرى ان نهرب ومعنا الجوزة .. فهي لابد ستفنعنا على أية حال !

وفعلا بدأنا تنفيذ الخطة .. قمت انا من مكانى وتمشيت افرنجى نحو حلقى المقهى والقيت نظرة على الجرسون الذى كان مشغولا عند النصبية .. فغمزت لغزالى ، فهب غزالى ومعه الجوزة هاريا فى اتجاه المخبأ وسعد كرنك يتبعه .. وانطلقت أنا فى الاتجاه الآخر .

وبعد دقائق كنا جميعا فوق المخبأ ومعنا الجوزة والجارحى .. وراح الجارحى يتفرج على الجوزة كأنها عجة ، يتحسسها بيده كأنها قطعة حرير سكروته .. ويدت الدهشة على وجهه عندما أشعلنا فحما ، وحشونا الجوزة بالمعسل ورحنا نشد انفاسا عميقة حتى انقطعت أنفاسنا .. وعندما انتصف الليل قمنا الى بيوتنا .. واقترح سعد كرنك ان نترك الجوزة امانة لدى الجارحى حتى اليوم التالى ..

وكان سعد كرنك صيبا ريفيا من شيين الكوم ، وكان شديد النحافة .. دائم المرض ، ولكنه كان حادا كالسيف ، يستطيع ان يهزم رجلا فى الثلاثين ، وعندما وفد الى الجيزة اول مرة كان اسمه سعد زغلول الأرنأوطى .. وكان لعبد الوهاب اغنية حديثة اسمها الكرنك .. وكان سعد شغوقا به يحب سماعها ، ولكنه كان ينطقها كرنك بفتح الراء بدل تسكينها .. فأطلقت انا عليه هذا اللقب وأصبح شهيرا به حتى أصبح رجلا ، بل أصبح علما عليه حتى مات متحجرا ! تركنا الجوزة عند الجارحى وانصرفنا ، وعندما عدنا فى الصباح وجدنا الجوزة تحطمت الى ألف قطعة ، والجارحى مريض اصفر الوجه كأنه جثة يربط رأسه بمنديل اصفر باهت ويشهق كأنه يعانى سكرات الموت ! وعندما سألتناه عما دهاه أشار فى أسى شديد الى حطام الجوزة وهز رأسه ولم يتكلم .. الا بعد ذلك بأيام ..

الجارحى الغلبان الصلدمان بعد أن تركناه مع الجوزة وانصرفنا ، فكر فى ان يتسجم وحده ، ولم يكن الجارحى قد استعمل الجوزة من قبل ، وكل الذى رآه هو قطع فحم مشتعلة ومجرد شفت انفاس من الغابة وكان الله يحب المحسنين .. وفعلا أشعل الجارحى فحما وراح يشفط بعمق ويشفط بنهم .. وشعر الجارحى فجة بالرهقان وشعر بالدوخة ، وأحس انه يموت ، فنهض نائرا وحطم الجوزة ثم نلم على الارض مريضا يعانى سبعة أيام !!

وفى خلال ايام مرضه كان خريصا على أن يحضر مجلسنا فوق المخبأ . وكان

يغترس شؤالا على الارض وينام بملابسه « الرسمية » ينصت اليها أحيانا ، يوبخ
حيثا موالا كان يردده بمناسبة وبلا مناسبة .

أنا أصلى مش بطل لكن الأهل تعبوني ..
في الوش حلوين ومن ورا ضهرى تعبوني ..
أنا قلت أسيب الوطن للكل ، وعملت جسمى معدية لدوس الكل
جيت أريج الكل لقيت الكل تعبوني !

وكان بين كل مقطع ومقطع يصيح من شدة الاعجاب ، الله ، تانى والنير
يا جارحى يا حلالة .. فاذا انتهى من الغناء هز رأسه اعجابا ومصمص شفثيه من
شدة الانسجام !

وشفى الجارحى من مرضه بعد أسبوع .. واستطعنا أن نجرجره معنا إلى
أرض ماتوسيان .. فقد أرسلت لنا فرقة البحر الأعظم باصة لتلعب معها على
دسته كازوزة .. وفي يوم اللعب اكتشفنا ان لاعبا منا قد اختفى . وأقنعنا
الجارحى أن يذهب معنا ويلعب لنا حارس مرمى .. وشرحنا له الامر هناك ..
ووقف الجارحى حارس مرمى .. ولعبت أنا في الجناح الايمن ، ودار اللعب بيننا
وبين البحر الأعظم .. فريق فؤاد صدقى الشهير .. وجوز واحد لم يدخل في
الجارحى ، أخذ اللعب جدا ، ورمى جتته على أقدام اللعبة .. وانبطح رأسه
وتحطمت ضلوعه وتسليخت ذراعاه .. ونزفت الدماء من أنفه .
وانتهت المباراة ليلتها بالتعادل .. لم نخسر ولم نكسب .. وقررنا الاحتفال
بالجارحى .. وعندما سألناه عن الهدية التى يرغب فيها قال ولعابه يسيل .
- سانكوتش كفته .

وكان الجارحى يقصد ساندوتش ، واشترينا له ساندوتش كفته بقرش
صاغ ، وجلسنا على سور نفق الهرم نتفرج على الجارحى وهو يقضم الساندوتش
بشراهة كأنه يأكل آخر زاده .

وفجأة .. مر من تحت النفق طابور عساكر افريكان من شرق أفريقيا : مروا
من تحت النفق في طريقهم الى الهرم سيرا على الاقدام . وكانوا يسرون واحدا
وراء الاخر رغم اتساع الشارع وكأنهم يسرون في درب ضيق داخل غابة
سوداء ..

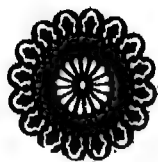
وكان الطابور أثناء رحلته الطويلة نحو الهرم يتفاهم بطريقة مضحكة . كان
الرجل الذى يقود الطابور يلقي سؤالا فيتلقه الذى خلفه ويردده .. فينقله
الذى خلفه ويردده حتى ينتهى السؤال الى الرجل الاخير ، فيجيب اذا كان لديه
جواب .. ثم يعود الجواب من رجل الى رجل اخر حتى يصل الى الرجل
الاول .

وفى رحلة مثل هذه من الجيزة الى الهرم كان الطابور البائس الغلبان يتبادل ثلاثة أسئلة وثلاثة اجوبة على الاكثر .

المهم أننا لمحا الطابور يسير من تحت النفق فصحننا نحيه .. ورد الطابور التحية .. ثم بصق غزالى على الطابور ، فبصق الطابور نحونا .. وتطورت المسألة الى خناقة والطابور البائس تحت .. ونحن فوق سور النفق .. وأرض ماتوسيان واسعة ، وفى الارض طوب كثير ما أحلاه فى معركة مثل هذه .. وانحنينا على الارض نجمع طويا .. وهات يا تحديف على طابور الافريكان .. وتعالى الصباح وتصاعدت الضرخات ، وتفرق الطابور مذعورا وحرضنا هذا المنظر على الاستمرار فى المعركة .. وسالت دماء الافريكان ، وجلجلت ضحكاتنا واندمج الجارحى معنا .. واشترك فى المعركة ، واستطاع بعض الافريكان فى النهاية أن يهربوا من الحصار .. واتجهوا الى مقدمة النفق من ناحية الجيزة ليقوموا بعملية التفاف حولنا ..

ولكن غزالى لحسن الحظ كشف اللعبة ، فصاح صيحة مدوية كقائد مستول .. اهربوا .. وأخذنا ديلنا فى اسناننا وهات يا جبرى نحو قلب الجيزة .. وعندما وصلنا الى المخبأ ، تفقدنا الجارحى فلم نجده .. كانت هذه هى المرة الأولى التى يغادر فيها المخبأ الى مكان اخر .. ومن يدري ربما وقع اسيرا فى قبضة الافريكان ..

ومن جديد . عدنا نرحف الى نفق الهرم نستطلع الامر !





المقهى وصاحبه ...

.. اختلف عامة الناس والمتخصصون في عمره ، قدره البعض بمائتين ، وزاد آخرون قرنا كاملا ، واثبت ا جانب انه كان قائما زمن الحملة الفرنسية ، نمة لوحة تصور جانبا منه في كتاب وصف مصر ، الذى اعدده علماء الحملة من البلاد وما تحوى ، وان بونايرت زاره ، واختفى مشروب الحلبة وابدى اعجابه بكنهه .

فيما بعد اشتهر القهى بالشاي الاخضر المطير بالنعناع ، وهذا من عناصر الحنين القوية عند صاحبنا خلال اغترابه ، مهما اختلفت المدة ، طالت او قصرت ، بمجرد عودته ، يعضى الى ركنه الذى اعتاد الجلوس فيه ، يبادر الى احتساء كوب او اثنين ، ليس الشاي مقصودا لذاته ، انما سعي الى ما يشبه التوحد من استدعاء للحظات مندثرة ، واخرى لا تزال فى رحم الغيب ، تهدة لاتقاد الجذوة ، ودرداء لمصف الحنين . كثيرا ما ردد : انه ماوى وليس مقهى . موقعه فى الحى القديم ، القادمون الى اضرحة الازلياء الصالحين يقصدونه ، خاصة يوم الجمعة ، منهم اهل الريف ، كذا طلبة العلم وشيوخهم ، هذا اليوم بالذات يصعب وجود مقعد خال حتى ما قبل المغيب .

ازمنة شتى تتابعت ، كل منها ترك بقايا او اودع آثارا عقلت بالجدعان ، او رصبت فوق الارفف ، او تدلت من السقف ، فمن ذلك المرايا الضخمة ، بلجيكية المصدر ، ذات الاطر المدججة بزخارف اغريقية ، اصداها امير من العائلة المالكة فى نهاية القرن ، اعتاد تدخين النرجيلة فى مقصورة خصصت له ، نهاية العمر ، قرب الزهور الصناعية التى اطلعت عليها . وتوقفت امامها الامبراطورة ارجينى ، عندما نقل جسد الامير . وقلت حركته ، ذهب المعلم الكبير الى قصره المطل على النيل لاعدادها له ، يوميا يحيى خادما حشى يقود عربة ذات جوادين اصليين ، مرة فى الصباح ، ومرة قبل العشاء ، يصحب المعلم الذى يعضى مباشرة الى الحجرة الخاصة ، حيث يوقد الجمرات ، يفيض المتبناك ، ثم يشعل الدخان بأنفاسه القوية حتى تسلس ولا يرهق الامير ، كانا فى البداية يتبادلان كلمات قليلة ، ثم طالت خلوتهما ،

وحدثه الأمير عن أدق شئونه ، وأفضى بأسرار جمعة ، يقال ان المعلم الكبير كان يخشى مجرد التفكير فيها ، فما البال بترويديها أو الانفصاح منها ، حتى بعد دخول الأمير مرض الموت ، ورجله ، يتعلق الأمر بدقائق ، بعضها يخص أميرات من العائلة ، لم يفض قط .

في المقهى أو ان خزفية من صنع تركيا ، وبلدان أواسط آسيا ، وسيوف أغمدت منذ أزمنة طويلة ، وقوارير عطور نادرة من زجاج ملون . وسجادة صغيرة من حرير ، عليها رسم مشكاة تطل منها زهور ، صنعت في هيرات ، أهداها ملك الأفغان المنفى قبل عودته الى بلاده منتصرا ، علقته الى الجدار بحيث تملأ المكان الذي اعتاد صاحب المقهى الجلوس فيه ، ولم يفره منذ ستين سنة ، وقطع خشب مغروط توقف صنعها لبطلان اليد العاملة التي كانت تبدها وتسويها ، فمن ذلك دولاب صغير يعلق الى الجدار ، تتخلله زوايا صغيرة من العاج ، وأرفف من الخشب فمصنوع من شجر ذي رائحة لا تنفذ ، قوية ، تعمق فراغ المقهى كله خاصة في أصباح الأيام الشتوية المشمسة ، تنبعث هادئة ، راسخة ، تطفئ على سائر الروائح ، حتى التيباك المحترق على مهل بجمرات الفحم ، تبث راحة وترسل خدرا ، العجيب ان هذه الرائحة اختفت تماما من الخشب بعد رحيل ابن المعلم الكبير ، آخر ملاك المقهى ، ولم يفسر أحدا ذلك .

احتوى المقهى أيضا على أو ان نحاسية منقوشة بالزخرف الدقيق ، بعضها صنع لاحتواء الماء ، أو لترص فوقه الأكواب والأواني ، ومن ذلك صينية منقوشة ، زخارفها موزقة ، متفرعة ، متداخلة ، تتغير مع حركة الناظر ، فيصبح المثلث دائرة ، والخط المجرد موزقا ، والنجمة هلالا ، حلت الزخارف بخيوط الفضة المسوسة بالذهب ، وعدها البعض من المعجائب ، هذه الصينية آخر ما أنجزه واحد من قدامى الصناع اشتهر أمره ، لم يكن يعمل الا قبل غروب الشمس بساعتين ، وبمجرد غوص قرصها عند الأفق يتوقف أيا كان الوضع الذي يعمل فيه ، حتى اعتبر بعض معارفه والمحيطين به توقف يده من طرق المسطح النحاسي أو المعدني علامة على تمام الغروب ، خاصة في رمضان ، لم يكن يعمل وفقا لتصميمات مسبقة ، اتما كان ينحصر محملا في الفراغ ثم يبدأ النقش ، مستخدما أدوات معدنية ، مديبة ، بعضها غليظ كالطارق ، وآخر نحيل كالابر ، من بين أصابعه تتخلق النقوش ، لا يجور شكل على آخر ، لم تخرج من بين يديه قطعتان

متشابهتان ، قلده بعض صنّاع الصنّاع ونقلوا عنه ، لكنه لم ينسخ ذاته قط ، مات عن أربع وثمانين سنة . مال رأسه فوق هذه الصيّنة التي علقت زمنا طويلا في صدارة المقصورة الرئيسية بالمقهى ، بعد انتهائه من حفر آخر نقطة اغلقت الدائرة الوسطى التي تنفرج منها الخطوط والاشكال . ظنه البعض نائما ، وعندما حددوه وجدوا صهوبة في فك أصابعه عن المطرقة الصغيرة والأزميل ، حتى إنه دفن بهما .

احتوى المقهى على ستائر نادرة من الخرز الملون ، صغير الحجم كحبات الذرة ، تتخلله فصوص من مرجان البحر الهندي الأعظم ، تسدل على فراغات المقصورات المتجاورة على جانبي الممر الرئيسي ، فتحجب وتشى في عين اللحظة ، هذه الستائر أهداها طالب علم من جزر القمر درس في الأزهر سبع سنوات قبل عودته إلى بلاده ، واعتاد القدر بعد صلاة الفجر مباشرة والبطوس صامتا مقدار ساعة داخل المقاصير ، صفت نراجل عتيقة ، متنومة الطرز ، أما التي اعترض بها صاحب المقهى ، وحنا عليها ، وأكثر من عنايته بها ، وترفق بوضعها ، فكانت تخص في الأصل السلطان أحمد العثماني ، خاتمة وطرة توقيعه على زجاجها الأزرق ، الشفاف ، الرقيق ، كيف وجدت طريقها إلى هنا ؟ . هذا ما لا يعرفه أحد .

حدثني أقدم العمار - رحمه الله رحمة واسعة ، إذ كان غندورا ، طبيب المظهر ، رائق الزواج ، قوى الاهتمام بربان المقهى ، قال إن الحاج إذا طرب أو انتشى أو مر بلحظات صفو ، يأمر بأعداد هذه الترجيلة ، يضعها أمامه ، يشأمل صور السلطان المرسومة على الوعاء الزجاجي ، وتوقيعه ، يهز رأسه هزتين قصيرتين موجزتين متتابعتين ، يعرف الأقربون أنه يمر بذرا صفوه وخلوته مع ذاته ، ودنوه الأقصى من لب راحته الإنسانية .

أغرب ما يروى عنه ، ما يتعلق بغرفة الزهور والإمبراطورة أوجيني ، في نهاية الممر حجرة جدارها زجاجي . الناظر داخلها يرى ورود الدنيا كلها ، المعروفة في مصر ، وفي أقصى المعمورة . عندما جاءت الإمبراطورة أثناء احتفالات افتتاح قناة السويس ، زارت المنطقة القديمة وأثناء تفقدها المآذن العتيقة والجدران الزمنية للمباني القادمة من عصور بعيدة ، توعكت قليلا ، وشحب لونها ، رفعت يدها إلى جبهتها ، لم يكن هناك مكان مناسب إلا المقهى القريب . طبعا سبقها رجال القصر لتنظيفه وتهيشنه والتأكد من ابتعاد الشحاذين والدجالين

والفضولين ، اقترح أحدهم على الحاج أحضار اطقم الشاي والقهوة من القصر ، كذا الأكواب الزجاجية الملونة التي لا تخرج من الخزائن الا في المناسبات الكبرى ، مثل مولد النبي ، وعيد الجلوس ، او الحفلات التي تقام للملوك . لكنه أبى ، وقال صراحة أن بعض ما عنده لا يوجد في القصر .

وقف عند راس الطريق القصر المؤدى من الميدان الى المقهى ، وبالتحديد امام المطعم الإيراني الذي أطلق بسرعة وسدت منافذه لدواع أمنية وخوفا من نفور الامبراطورية او غشيانها اذا استنشقت روائح الثقيلة والمرق ، ربما أزعجها ما لم تعتمد عليه ، كان المعلم ، شابا في العشرين وقتئذ ، وقيل في الثامنة عشر ، عنفوان فتوته ، ومرحلة تاججه ، كان طويلا ، له مهابة ، غليظ الرقبة ، ضخم الشارب ، ورث عن والده حبه وشره للأكل والنكاح ، في هذه السن المبكرة كان يلقب بالآلفي ، لانه ضاحك منذ بلوغه الف امرأة ، زاد عليهن فيما بعد ، لكنه ظل يعرف بذلك ، وأمر فحولته معروف ، وله أطوار غريبة تروى أمرها شائع .

لحظة لقائه بها بدا ثابتا ، راسخا ، قسماتها هي التي اختلجت مسفرة عن رغبة انثى ، وعندما مد ذراعه لتتكئ عليها طبقا لتضيحة باشا كبير سبقي الزكب وأطلعه على السلوك الواجب اتباعه وحذره مغبة التقصير . برغم ذلك عندما وصلوهما الى المدخل انفصل عنها ، فرد يده داعيا للدخول ، ثم تقدمها كما اعتاد رجال الفترة عندما يصبحون زوجاتهم ، لوحظ انها افسحت الخطى حتى تلحق به ، وطوال جلوسها بالمقصورة لم ترفع نظرها عنه ، حتى زعم البعض انها قضت غلمتها بالبصر ، بعد دقائق من الراحة ، وقفت ، مشيت في الممر متعجبة مما تراه ، آهاتها تخفى نشوة أخرى ، يجمع الكل على تعجبها مما رآته من ازهاد في العزقة الزجاجية ، فل ونرجس وشقائق نعمان ، ولوتس وباسمين ، وأنواع أخرى لم ترها ، تعجبت وتطلعت ، اخبرها من له دراية ممن كانوا يرفقنها ان بعض هذه الأنواع لا ينبت الا في الصين ، او في قمم الجبال النائية .

لدقائق استمر المعلم يتطلع اليهم هادئا ، مبتسما ، غير عابىء بجمال السيدة التي استضافها ملك بلاده وشيد من أجلها القصور واليخوت سميا وتقربا ، حتى قيل انه أشرف بنفسه على رصف طريق يستمر به عربتهما ، بحيث يميل الارتفاع بمقدار معين فتضطر طبقا لموضع جلوسها للمدير الى الاتكاء عليه ، هكذا يدنو ويلامس ، لعل ورشي .

تطلع المرافقون ، وابدوا الدهشة ، كيف تنمو الزهور في هذا
 لحيز الضيق ، ما الذي يجمع ورود الشتاء مع الصيف ؟ . بعد ان
 عدا الكل ، تقدم المعلم ، فتح الباب والتفت الى الامبراطورة وعندما
 هم كبير حاشيتها منه من اجتياز العتبة ، اغلق الباب ، راه
 الواقفون ، يشير الى الازهار ، مومنا ، مفسرا ، شارحا ، لا يدرى
 احد اى لغة تطلق ، قال ان هذا كله مصنوع من خيوط الحرير الدقيقة
 التى لا يمكن رؤيتها متفرقة ، نسجت وصيغت بمهارة ، اعنى خبراء
 الزهور لا يمكنه اكتشاف حقيقتها الا بعد اللبس والفحص ، يسدو
 بعضها مبلولا بالتندى ، وما القطرات الا مهارة صانع ، هذا السر لم
 يبح به المعلم ولم يفصح عنه الا للامبراطورة ، لكنه لم ينطق به علنا
 الا بعد الغارة العنيفة التى جرت احدى ليالى الشهر الاول من السنة
 الثالثة للحرب العظمى ، تسبب انفجار قريب في تدمير الجدار الزجاجى
 الامامى الذى توقف عنده خلق من شتى الاجناس والمال ، تعجبوا
 وتاملوا ، سرعان ما تلاشت الزهور والالوان ، بدا شحوب ثم ذبول ،
 ثم تحللت ، عندما اكتشف العمال ذلك فزعوا اليه ، طالهم يمينين
 صامتتين تفيضان اسى لم يفارقه حتى يومه الاخير الذى اوفى به عامه
 الرابع والعشرين بعد المائة وثلاثة شهور وسنة ايام ، هكذا يؤكد
 العارفون ، خاصة رجلا اكبر منه بعشر سنوات ، قصر القامة ،
 نحيلها ، عنده دكان خياطة بلدى ، وما زال قادرا على تحرير الخيط
 الحريري من سم الابرة ، اكده انه حضر مولده ، وخاصة يوم السبوع ،
 اقام والده ليلة ظلت المنطقة تذكرها لسنوات تالية ، كل فقراء الناحية
 اكلوا طيخا ولحما وحلوى طيبة واخذوا كفايتهم لمدة اربعة او خمسة
 ايام آخر ، وزع الجنيهات الذهبية على كل من حضر ، وغنى المطربون ،
 وأنشد المنشدون ، لا عجب . . انه الولد الاول بعد ست بنات جئن
 متعاقبات ، حتى فكر المعلم الكبير في تصفية المقهى عند شعوره بوهرن
 الكبير ، لم يقدر على تخيل شخص غريب يقعد في نفس الموضع عند
 المدخل ، وينتد دخان الترجيلة ، ويدير شؤون المكان ، لكن رينسا
 اكرمه ورزقه بغلام ، قدر له ان ينمو ويصبح ذائع السيرة ، مشهور
 بحسن الخلق ، ورجولة فياضة ، ألم تفتتن به الامبراطورة اوجينى
 احدى حسناوات عصرها ؟ . اصحابها لهج به رجال القصر واعضاء
 الملك الديبلوماسى وقتئذ ، وذكره قنصل ايطاليا في مذكراته التى
 نشرت قبل تولى موسوليني السلطة .

بعد انصرافها ابدت رغبته في استدعاء المعلم الى قصر ضيافتهما

لاعداد الشاي الأخضر المحلى بالسكر النبات ، والمصطر بالنعناع وبالفعل .. وكب عربته الخاصة التى يجرها جواد اسود فاحم ذو غرة بيضاء ، اعد لها الشاي وسقاها بيديه ، لكن .. هل خلا بها ؟

لا يمكن لاحد الجزم بالنفى او الاثبات . امر صعب ، طبعاً رويت عشرات التفاصيل ، خاض ابناء الحى القديم فى الامر ، طبعاً اختلط الواقعى بالمتخيل ، بعد سبعة عشر سنة جاء ممثل الاذاعة البريطانية ، عرض فى البداية عليه شيكا مصرفياً بالعملة الانجليزية ، مقبول الدفع ، على بياض ، مقابل الاجابة على سؤال واحد : عندما مضى الى القصر ليعد الشاي وخلا بها ، هل قال المعلم ما لم يتمكن منه الخديو ؟ . تطالع المعلم اليه ، اشد بنصف اصبعه ان يقدم ، ان يقترب منه ، فترج الانجليزى ، ظن انه سيستمع الى الاجابة ، اشرع جهاز التسجيل ، وعندما دنا متاهياً للجلوس على مقربة ، فوجيء بالمعلم يمسكه من ياقته ، يهزه ثلاث مرات ، ثم يرفعه فى الهواء ويبقيه معلقاً بينما الرجل يفرط برجليه ، لعنه ولعن الاذاعة البريطانية والفضول الذى لا يرحم الحى او الميت ، ثم قال بصوت سببه الجميع انه لو راي الانجليزى مرة اخرى فسيجعل وجهه مطروح قفاه .

هرب الخواجة ، ويؤكد الحاضرون انه بال على نفسه . وامتلاً رعباً ، غير ان السؤال ظل يتردد ، والاجابات عنه تتنوع ، لزم الصمت فلم يفتح ولم يشف غليلاً حتى بعد ان طعن فى السن وتداخلت عليه الرؤى ، تهدلت اطرافه . وثاقلت نظرائه ، وصار تحديقته الى ما لا يرى اكثر من نظره الى المحسوسات ، الا انه فى اقصى حالات ضعفه كان يوحى بتيان قوى قام يوماً ، لم يعد يفارق موضعه فوق الدكة الخشبية التى حفر عليها تاريخ صنعها قبل قرنين من الزمان ، حتى الايام الاخيرة حافظ على ذهابه الى الحمام التركي مرة كل اسبوع ، ولم يمنعه الوهن من قضاء حاجته بدورة المياه الملحقة بالقهى والتي جدها وسواها .

فى شبابه هابه الجميع ، وخشيه القريب والبعيد ، بمن فيهم ضباط الشرطة الذين تعاقبوا ، اتقن فنون المصارعة ، واللعب بمصاين فى وقت واحد ، واستخدمها بمهارة عند نشوب قتال ، ذاع امره فى الشقاوة ، وقدرته على الجماع ، لم تحتله الا امرأة حلبيه اقامت فى بيت منزول بضاحية عين شمس ، لكنه لم يتزوجها ، رغم اقترانه بعدد غير معروف من النساء ، لكنه لم ينجب منهن ، بعد وفاة والده

فجأة وبدون مقدمات تفرغ تماما للمقهى ، اعتنى به وبذل المجهود
الآثم ، بعد الطواف والتنقل والجري هنا وهناك لم يعد يفارق
المدخل ، لا صيفا ولا شتاء . من فوق الدكة يدير الأمور بنظراته ،
لزم الترجيلة ولزمته ، يقابل الجميع بمودة متحفظة ، مقتضبة
وتعبيرات لا تتغير الا عند قدوم عزيز ، ليس بالضرورة من ذوى الجاه
أو الشهرة ، كان يخدم بنفسه الملوك ورؤساء الدول ، وكبار العاملين
بالمنظمات الدولية والمثليين ، والمطربين ، والشعراء الكبار والكتاب ،
ولا تزال صورته وهو يقدم القهوة ضاحكا الى الفريق عزيز المصرى
معلقة ، لكن صورة جمال عبد الناصر جالسا بصحبة اثنين مجهولين
أختفت بعد عام من وفاته ، كان يقوم محيا من يقدره هو لا غيره ،
لم يتحرك عند رؤيته وزراء . وضباط شرطة كبار ، لكنه انتفض
مرارا بمجرد رؤيته رجلا عجوزا ملتحيا كان يصل في نفس موعده كل
عام ، يجوب الوادى من بلاد النوبة وحتى ساحل البحرين ، الابيض
والاحمر ، يزور أضرحة المشايخ ، كبيرهم وصغيرهم ، يقرأ لهم
الفتحة ، ويوقد عند كل منهم شمعة ، ثم يمضى ، كان المعلم يتحرك
به ، ويعد له الهدايا قبل قدومه بشهر ، وينتظر موعد ظهوره بلهفة لا
تخفى ، وعند انصرافه ينحنى مقبلا يده ويطلب منه البركة ، كان
يبدو مسرورا عند الزيارة ، مؤكدا لمن حوله ان والده اوصاه بالرجل
الصالح قبل وفاته ، يبدو راضيا ، مرتاحا راحة لا تعرفها قسامته
الا لحظة مناجاته جواده العريق القديم ، امتطى صهوته زمن الشباب ،
يقال انهما ولدا في يوم واحد ، كان يسرجه ، وينظف جسده ، ويطيبه ،
ويطعمه ، ويسقيه بيده ماء الورد . وعندما لزم الدكة . بان عليه
التعب ، وقف جواده الاكل ذو القرة الى جواره ، لم يربطه ، كان
طليقا من كل قيد ، لكنه لا يتعد ولا يجمع أبدا ، وفي ايام الصيف
الحارة يلبذ عن وجه صاحبه اللذباب ، وينحنى ليتشمسه أو ليظمن
عليه ، لا احد يدري ، يقسم اقدم العمال انهما يتبادلان الحوار ، كل
منهما يفهم الآخر ، أحيانا يومئ ، فيمد الجواد رأسه ، عندئذ يهمس
له ، والجواد يهز رأسه أو يهمهم ، أو يطرق حزينا ، أو يرفع قائميه
الامامين في حركة زهو ويصهل بصوت مرتفع متدفق حتى ليسمع
من بعيد .

احتفظ أيضا بثلاثة أقفاص بها أربع وعشرون فرخ حمام ، عجيب
انه لم يفلق أبوابها قط ، يطير الحمام ويرجع اى وقت ، في الليل

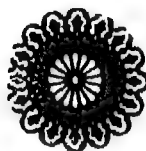
يتحمل ويسمع هديره وغيطه ، يحط بجواره ليلقط حبا او ليرشف قطرات ، عدد الحمام لم ينقص ، ولم يزد طوال اربعين عاما ، اذا طقت بيضة واطل زغب أخضر ، كان ذلك يعني قرب اجل حمامة كبيرة ، لا يتأخر الأمر أكثر من يومين ، وربما وقع العكس ، فيسبق الموت الميلاد ، هكذا مضى الأمر ، لم يهتز ولم يختل حتى جرى ما جرى .

ذلك أن رئيس بلدية العاصمة كان جهولا ، غيتا ، ناليا ، قرد اعادة تخطيط الحي القديم ، وبناء فندق يصلح للسائحين ، اقتضى الأمر إزالة المقهى ، الحق أن الأمر لم يتم بهدوء ، شرع كتاب لهم شان في الاشارة بالمقهى ، نبهوا الى اهميته التاريخية وسرد بعضهم الاحداث التي جرت فيه ، والشخصيات التي عبرت فضاءاته ، بدءا من شيوخ الأزهر الكبار ، وحتى نابليون بونابرت ، والزعماء السان سيمونيين ، رلاظوغلى باشا ، والامبراطورة اوجيني ، وجمال الدين الافغانى ، وطبعا . . الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، وغيرهم ، قام بعض محبي المقهى بجمع مئات التوقيعات ، نجوم فن ، ورياضة ، ورجال قضاء ، واساتذة اجلاء ، وتدامى انسوا الى اركان المسكان وزواياه وامضوا مقادير من اوقاتهم . غير أن هذا كله لم يرد رئيس البلدية الا اصراوا وعنادا ، تحدد يوم معين للاخلاء ، وبدء الهدم .

المعلم تابع ما يجري صامتا من فوق الدكة ، يعيظه المريدون نيهونون ، ويذكرون احتمال صدور أمر حال بوقف هذا البيت كله ، كان يصغى ولا يهتز رأسه ، لا يومئ ، لا يعجب . اشارة ولو واهنة ، وعندما امتنع الجواد الاكل عن تناول الطعام لمدة ثلاثة ايام قبل الموعد ، وعندما كمن الحمام في الاقفاص ، كف عن التحطيق او تناول الحب ، وتوارى كل صوت . بدأ ذبول واضح حول عينيته ، كان يردد الطرף بين الجواد واقفاص الحمام ، وترتجف شفتاه بما لم يفهمه احد ، ولم يدركه الاقربون .

صبيحة اليوم المحدد لرفع أول معول هدم ، ناداه اقلم عمال المقهى فلم يجب ، كان يستند رأسه الى يده ، متمددا على جنبه الايمن ، مشيرا بسبابته ، علامة التوحيد ، فوق الأرض انفرط الجواد ، باتت ضلوعه ، هزل قوامه ، لم ير من قبل الا واقفا ، متخايلا ، اذا تلمس راحة رفع إحدى قوائمه لحظات . سقطت حمامتان من القفص الثاني ، اما ما تبقى فاضطروا الى الصعود على سلم متحرك لاخلائه ،

تجمع القوم ، عظم التأسف ، صاح شيخ ضرير ، ضخم البنية ، اعتاد
 تدخين الترجيلة صباح كل يوم ، أمر الواقفين بستر جثمان الراحل
 فللموت حرمة ، عندئذ أقدم الكل ، بكى العمال كثيرا ، خاصة عندما
 عشروا تحت راسه على لفافة تحوى قماش كفته . وسائر ما يحتاج
 اليه في رحلته الأخيرة ، توسده مدة طويلة لا يدري أحد مقدارها .
 لم يستطع العيش حتى يتنفس هواء يوم يرتفع فيه معول الهدم .
 هكذا وجدوا رئيس الجامعة في غرفته الخاصة ، مرتدبا ملابسه
 الرسمية التي لم يظهر بها الا عند مناقشة الرسائل العلمية المتقدمة ،
 والعشاء الطقوسى ، كان ملتحفا بالعباءة الخالية من الدوائر الثلاث ،
 لم يقدر على الاستمرار حتى رؤيتها . دفن بها ، كانت آخر عباة
 من الرسم القديم ، كانت معدودة من أجل الشارات . لكن . . لحقها
 ما بطل كل شيء . .





رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية ١٩٩٠/٣٤٧٢

الترقيم الدولي ISBN 977-08-0113-5

● لضمآن حصولك على كتاب اليوم شمريا ●

أخبار اليوم (إدارة الاشتراكات)
 أرجو إرسال كتاب اليوم لمدة ١٢ شهرا على العنوان التالي :
 الإسم :
 العنوان



● الاشتراك السنوى

جمهورية مصر العربية ١٦ جنيه مصرى

البريد الجوى :

دول اتحاد البريد العربى والافريقى ١٥ دولار امريكى
 وباقى دول العالم اوروبا والأمريكيتين
 واسيا وكندا واستراليا ٢٠ دولار امريكى

.. يمكن قبول نصف القيمة عن ٦ شهور .

مرفق شيك مصرفى مسحوب على أحد البنوك
 العالمية لأحد اشتراكات مؤسسة أخبار اليوم .

AKHBAR EL-YOM SUBSC. DEPT.

إرسل هذا الكوبون على العنوان التالي :

مؤسسة أخبار اليوم (إدارة الاشتراكات)

١٣ (شارع الصحافة - القاهرة)

AKHBAR EL-YOM SUPSC. DEPT.

3A SAHAFA St., CAIRO

صدر من كتاب اليوم

عامى ٩٠ - ١٩٩١

- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| ■ محمد والمسيح | : خالد محمد خالد |
| ■ ذكريات عاشق | : محمد تبارك |
| ■ مصر من تانى | : محمود السعدنى |
| ■ مصر فى القرآن الكريم | : احمد صبحى منصور |
| ■ الأدب فى الدين | : د . عبد المجيد دياب |
| ■ القاهرة مدينة الفن والتجارة | : جاستون فييت |
| | ترجمة د . مصطفى العبادى |
| ■ كأس العالم | : د . علاء صادق |
| ■ سر المياه القرمزية | (رواية تركية) |
| | : ترجمة نفيسة ذو الفقار |
| ■ أى كلام | : أحمد رجب |
| ■ نجمة الصباح (رواية انجليزية) | : سير رايدر هاجارد |
| | : ترجمة مختار السويفى |
| ■ الفرج بعد الشدة | للتنوخى |
| | إعداد: د . محمد حسن عبد الله |
| ■ حكماء وادى النيل | : محمد العزب موسى |
| ■ أمثال شعبية | : د . سيد عويس |
| ■ عبقرية المسيح | : عباس محمود العقاد |
| ■ نوبار فى مصر | : نبيل زكى |
| ■ شعراء الصوفية المجهولون: | : د . يوسف زيدان |

تريباً في كتاب اليوم
أحدث ماكتب السافر الكبير
محمود السعدنى

حمار في الشرق

•• مغامرات مصرى ابن بلد في
أوروبا رؤية فريدة وجديدة وسافرة
للمضارة الأوروبية .. !

□ ترقب صدوره □

■ كتاب اليوم ■
عدد أول مايو

كسوة الكعبة المشرفة

وفنون الحج

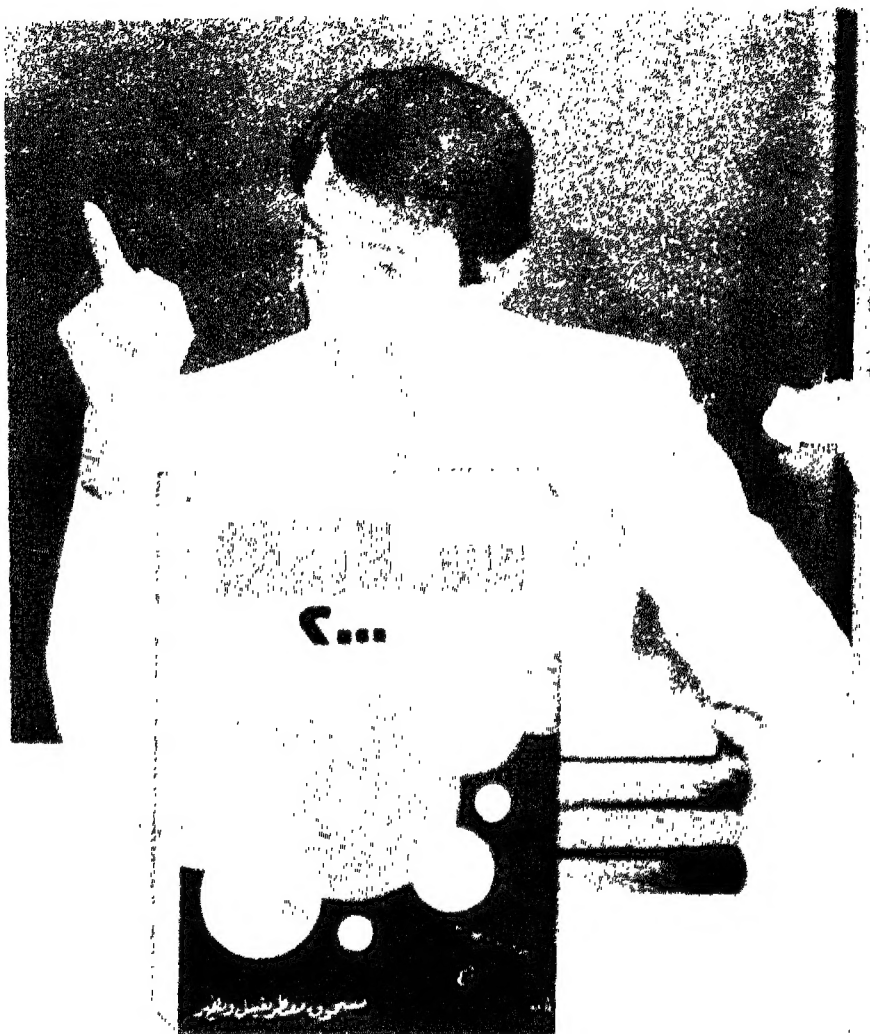


بقلم : إبراهيم حلمي

■ أول مرجع شامل عن تاريخ كسوة الكعبة
والمحمل النبوي عبر مراحل التاريخ
المختلفة والفنون والصناعات المرتبطة
بالحج ..

■ صور قديمة نادرة تنشر لأول مرة ..

■ ترقب صدوره ■



... ٢

سجود وولف ريشل وولف

المنظف العبقاق

الوحيد الذي يغسل ويظهر ويعطي بياضا ناصعا والوانا زاهية في آن واحد ..
تحتجته بعد انبات ناعية دقيقة شركة الاسكندرية للزيوت والصابون

هذا الكتاب

.. مقاهى الشرق . هذا العالم
الساحر . الغنى بالبشر . التجار . من
الحاضر . الفنانون . الأدباء . الباحثون
عن الشهرة . القادمون من الحاضر .
الغارقون فى الماضى . الباعة الجائلون .
المتطلعون إلى السلى . يكتب
الفرنسيون عن المقاهى الشرقية فى
مصر . فى فلسطين . فى عدن . فى الأردن .
فى سوريا . فى السعودية . فى العراق . فى
تركيا . ويقدمون صورا نادرة عمر
بعضها أكثر من مائة عام . وأضفنا إلى
ما كتبوه نصوصا أدبية رفيقة دارت فى
المقهى . لنجيب محفوظ . ومحمود
السعدنى . وجمال الغيطانى .
كتاب فريد . وجديد فى مضمونه
تماما .



Bibliotheca Alexandrina



0387456



مطبع الاختار

١٥٠ قرش